

روح صَوم رمضان

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١١/٦/٢٤٧٧)

٢٧١.٣١
الهودلي، سعيد مفلح
روح صوم رمضان/سيد مفلح الهودلي_ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
(١٠٤) ص
ر.أ: (٢٠١١/٦/٢٤٧٧).
الواصفات: /رمضان //الصوم

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

روح صَوم رمضان

تأليف

المهندس سعيد مفلح الهودلي



دار المأمون للنّشر والتَوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

روح صَوم رمضان

المقدمة

من بـر إلى بِـر، ومن خير إلى خير يعمر المؤمن هذا الشهر الفضيل، من دعاء إلى دعاء، ومن ابتهال إلى ابتهال، يقضي أيام وليالي هذا الشهر المبارك.

دوحة وارفة الظلال تعج بالنفحات الإلهية، وتفيض بالرحمات الربانية وتجود بالخير كله، نتفيأ ظلالها في هذا الشهر الكريم.

نصوم النهار، نقوم الليل، نتواصل مع كتاب الله سواحين كالأطيار بين دفتيه، نجني الأجر ونرتشف العلم ونحصد البركة. نُسدي الخير ونُـقدم الإحسان، ونجتهد بالأعمال الصالحات، جادين في أداء هذه العبادة الفذة وإقامة هذا الرُكن الركين من فروض الإسلام ودعائمه.

ذاكرين غير ناسين ولا متناسين أن عبادة الصوم كسائر العبادات لها جسد هو أركان وسُنن هذه الشعيرة، ولها روح يَـتمثل فيها حكمة من فرض هذه العبادة علينا.

في هذا الكتاب أعرض محاولةً جادةً، وجُهداً متواضعاً أُوجه جُـلَـهُ إلى توضيح وتبيان روح هذه العبادة، وحكمته سبحانه منها، وآثارها على المسلم الصائم، دون التعرض لجسدها وأركانها وسُننها، لأن إخواني من العلماء والدعاة لم يُوَفروا جهداً في توضيح وتبيان هذه الأركان عبر وسائل الإعلام والتعليم على اختلاف صورها.

محاولة استعنت للوصول إليها بكتاب الله العزيز وبالأحاديث النبوية الشريفة، وبالعديد من المراجع الإسلامية القيمة، وأخص بالذكر منها وعلى رأسها خُطبٌ الجُمعة للعلامة الشيخ عدنان إبراهيم كَـثَّـرَ الله من أمثاله ونفعنا بعلمه. ولا أنسى أن أسدي جزيل شكري للمفكر الإسلامي السوداني الأخ محمد طـه عبدالقادر لتفضله بمراجعة هذا الكتاب نحويا وإملائياً والتكرم بإبداء بعض النفحات والفِكَر القيمة.

فمن روح هذه العبادة - على سبيل المثال لا الحصر- أن يَـكُون يوم صومك مميزاً عن غيره من الأيام، فتبدو عليك علامات الصيام من خشوع وخضوع، لا مظاهر التعصب والنرفزة على الآخرين وإزعاجهم، فما كان الصوم يوماً مبرراً ولا مُسوغاً لأذى الآخرين واستفزازهم. ليتميز يومك بالإضافة للجوع والعطش بالتذلل لله، واجعله فرصة لتوطين نفسك على الالتزام بمظهر المسلم الوقور

الجليل، ليس في رمضان فحسب، بل على مدار العام، ولتكن علامات التقوى والورع سمتك الظاهرةفي رمضان خاصة.

يُمكنك أن تنظر إلى الصوم وكأنه معاهدة سنوية تتجدد بفضلٍ من الله كل عام يغفر سبحانه وتعالى بموجبها للعبد ما احتقبه من ذنوب وخطايا خلال العام (رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما)، على أن يصوم العبد رمضان صوماً صادقاً كاملاً. وقد تنظر إلى رمضان على أنه ساحة معركةٍ ضاريةٍ، يواجه فيها الصائم الكثير من الأعداء الأشداء، على رأسهم الشيطان بكل أساليبه وأسلحته، والنفس الأمّارة بالسوء، والغرائز والعادات المرذولة والشهوات وهوى النفس التي لازمته سنين طِوال.

أمّا أسلحة المؤمن فهي الثقة المطلقة بالله واليقين التام بنصره، واستمداد العون والرجاء منه سبحانه، وكذا الإرادة الصادقة الصلبة، المقرونة بالصبر، ومحاربة هوى النفس، وكذا الصُحبة الصالحة، صُحبة المسجد والقرآن.

قد يلحظ قارئ هذا الكتاب بعض التكرار في مديح رمضان والتوسع في ذِكر عائد الصوم وآثاره على العبد المسلم، لكن وللحقيقة أقول: مهما أجزلنا المديح وذكرنا من أفضال هذا الشهر ومزايا هذه العبادة، فلن نَفِيها حقها، ومهما شكرنا وحمدنا الله سبحانه الذي أكرمنا بفرضها علينا فلن نجزيه بعض فضله.

الآن ونحن على موعدٍ مع هلال هذا الشهر الكريم أسأل الله جلَّ وعلا أن يُبلغناه وأن يهله علينا ونحن بخير حال، ويَمُنَّ علينا بالقدرة على صومه بِهِمةٍ عالية وبروحانية صادقة كما يُحبها لنا سبحانه.

المؤلف

سعيد مفلح هودلي

عمان،

٠٠٩٦٢٧٩٦٦٠١١٠٦

سياحة في رحاب آيات الصوم

لو أنك استعرضت آيات الصوم في القرآن الكريم لوضعت يدك على الكثير من حكم الله من الصيام، ولَلمست روح الصوم ومعناه واضحاً جلياً، بل ولأدركت هذا التحنُّن الإلهي الخاص الذي يوليه سبحانه للصائمين.

كما قد لا يفوتك أن تلحظ أنَّ ذِكر آيات الصوم قد جاء مُباشرة قبل آيات الحج، يُذكِّرنا ذلك بأن الله سبحانه قد فرض علينا الصوم قبل الحج، وإذا أخذنا من قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ ﴾ [التوبة: ٤٦]. معنىً أوسع، فلعلنا نفهم أن تعبُّدنا بالصوم والتزامنا بأوامر الله خلال شهر رمضان ما هي إلّا مقدمة نتهيأ مِن خلالها، ونُعد العدة لاستقبال أشهر الحج وموسمه، لنتمكن من أداء هذا الركن بنفس راضية وروح مستقرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

تبدأ آيات الصوم بالنداء الجميل الرقيق بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....﴾ .

فمنذ اللحظة الأولى يُنعم سبحانه على الصائمين ويُضفي عليهم صفة الإيمان وليس الإسلام فحسب، مرتبة عالية يختص سبحانه بها الصائمين. ثم يُطمئنهم ويرفق لهم الأمر ويطيب خواطرهم حين يُخبرهم بأنهم ليسوا بِدعاً بين الأمم في هذا الأمر، وليسوا وحدهم المكلفين بالصوم، بل إنه قد كتبه على أمم سبقتهم.

ثم يُذَيِّل سبحانه الآية التي فرض فيها الصوم بقوله: لعلكم تتقون. فيبين الهدف المنشود والرجاء المعقود من هذا الصوم، وهو بلوغ التقوى التي هي أعلى مراتب الإسلام والإيمان، فالتقوى منزلة عالية وغاية سامية، فالمتقون هم أحباب الله المقبولون عنده، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] .

﴿ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى

ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

ثم يُظهِر سبحانه تحننه على الصائمين عندما يُطمئنهم بأنها أيام معدودات، غير كثيرةٍ ولا مُرهقةٍ، وعن قريب ستنقضي وتترحل.

ويُتابع سبحانه تحننه على عباده المُكلفين بالصوم حين يُعطي العذر، ويمنح الرخصة للمريض والمسافر، مع علمه سبحانه بأن الكثير من الأسفارلا تُرهق الصائم لدرجة تمنعه من الصوم، لكنه التحنن واللطف الإلهي.

لكن وإظهاراً لأهمية الصوم ومكانته فلم يُسقط سبحانه الصوم عن المُكَلَّف كما يُسقِط الصلاة في ظروف معينة، بل طالبه بتعويض ما فاته من الصوم عندما يشفى من مرضه، أو يعود سالماً من سفره.

أمّا قوله سبحانه: ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ فلعله يُخبرنا أن نصوم نفس عدد الأيام التي أفطرناها، أو أن نتقرب إليه ونشكره فنصوم أكثرَ منها.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ ...﴾ وإمعاناً في الرحمة والتخفيف ومواصلة لكرمه سبحانه أن سمح لِمن يشُق عليه الصوم مشقة زائدة أن يُفطر ويفدي عن صومه بعطاء أو ببعض مال يطعم به المساكين عن كل يوم يُفطره. نلمح من هذه الرخصة بعض أهداف الصوم التي منها إطعام المساكين والعطف عليهم والوقوف معهم.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ.....﴾ وتوسيعاً على المسلم الصائم أن فتح سبحانه باب الخَيار لمن شملتهم الرخصة على مِصراعيه حين أباح لهم أن يُفطروا ويفدوا عن صيامهم، لكن من أراد منهم الصوم تطوعاً فصام - رغم مشقة الصيام - فقد بَشَّره سبحانه بأن ذلك خير له وأفضل، بل وأحب إلى الله، ثم أسدى سبحانه للذين يُطيقونه وكذلك للمرضى والمسافرين نصيحة غالية حين حثهم وشجَّعهم على الصوم حتى وإن توفرت ظروف الرخصة، لِما فيه من خير لا يعلمونه.

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ

أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

إكراماً لهذه الشعيرة، وتوقيراً لهذا الشهر ومقامه يُخبرنا سبحانه بأنه أنزل فيه أكرم كتاب وأعظم دستور وأبلغ منهاج، كتاب رَحمةٍ، فيه آيات بيِّنات من الهُدى والفرقان، آيات تُبين بصريح العبارة أن مِن أهم أهداف الصوم تمييز الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والغَث من السمين.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾، **ثم يقول سبحانه: فمن أكرمته وأنعمت عليه فبلغ هذا الشهر وشهده وعاشه فعليه أن يصومه.**

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ﴾ .

ثم يُذكِّرنا سبحانه مرة ثانية بأنه يمنُّ ويتحنن علينا ويُيَسر لنا أمور حياتنا ويحمينا من الحَرَج والعُسر والعنت فيبيح للمريض والمسافر الإفطار على أن يقضي هذه الأيام عندما تزول الأسباب المبيحة للإفطار

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

بيانٌ من الله واضح، يُبيِّن فيه أن هدفه هو التيسير والتسهيل على من فَرضَ عليهم الصيام، وأنه يريد لنا اليُسر في كل أمور حياتنا وأمور ديننا، وأن يكون هذا التيسير سبباً وعوناً لنا في إكمال عِدة هذا الشهر وإتمام صومه، تحقيقاً لبلوغ أجره وكمال فضله، وتكبيراً لله وحمده وشكره على هذه النعم، وعلى هذا الفضل والتيسير والتسهيل.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

في هذه المناسبة، وبعد إكتمال عدة الصوم على الوجه الصحيح الصادق يُبشر سبحانه عباده الصائمين بأنه لا بُد مجيب دعواتهم فيما يدعوه، ومُلبياً احتياجاتهم ورغباتهم فيما يرجوه، وللوصول إلى هذا المقام علينا أن نستجيب له سبحانه، ونُرَسِّخ إيماننا بجلاله وعظمته وقدرته، لعلنا نرشد في أمور حياتنا

وشؤون دُنيانا وآخرتنا.

سألَ أحد الصحابة النبي ﷺ: هل الله قريب فأناجيه؟ أم هو بعيد فأناديه؟

فتولى سبحانه الرد، فأنزل قوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي .....﴾ .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

عَودٌ إلى كرم الله وتحنُنِه على عباده فقد أباح للصائمين ليلة الصيام مُباشرة أزواجهم إن هُم أرادوا ذلك، ولهم أن يبتغوا المتعة والذرية الصالحة لعلمه بأنهم لم يكونوا يصبرون على ذلك، حيث كانوا قبل نزول هذه الآية الكريمة يأتون أزواجهم مع أن ذلك كان مُحرماً عليهم، وإمعاناً في كرم الله عليهم أن عفا عمن أتى ذلك منهم - من قبل- وتاب عليه، بل وحَثَّهُم على أن يبتغوا الخَلَفَ الصالح مما كتب الله لهم.

كما وأباح لهم سبحانه الأكل والشرب بكل ما حَلَّ ولذَ وطاب، وبيَّن لهم بداية الصوم- موعد الإمساك - ونهايته- موعد الإفطار-، وأمرهم ألاّ يباشروا أزواجهم أثناء الاعتكاف في المساجد، ثم قال لهم: هذه حدودي فلا تتجاوزوها أو تعتدوا عليها، وأن التزامكم هذا سبيل للتقوى والرشاد.

وكما هو واضح فإن الله سبحانه قد بدأ آيات الصوم بالحثِ على التقوى وأنهاها كذلك بالحثِ على التقوى، تِبياناً وتعظيماً لأهمية التقوى وقدرها للمؤمن وأنها الهدف المنشود من الصوم.

أهمية التقوى

والتقوى قريبة الإحسان وقرينه، فلا إحسان بدون تقوى، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فالمحسنون لهم مَعية خاصة، فعندما تكون محسناً فأنت تعبد الله كأنك تراه وتشاهده، والمشاهدة ترفع العبد إلى مقام العارفين، والعِرفان يُفضي إلى المراقبة التي تبدأ بأن تعلم أن الله يراك، وتنتهي بأن تصبح في حالة وكأنك ترى الله.

قال الإمام علي كرَّمَ الله وجهه: ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده وفيه ومعه.

ومن يصل إلى مرحلة المراقبة لا يمكن أن يعصي الله، والعبادة الحقة أن تستحضر الله في كل أعمالك وأنك لا تغيب عنه.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قُل عَلَيَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت ذنوبٌ على آثارهن ذنوب
فياليت أن الله يغفر ما مضى ويأذن في توبتنا فنتوب[1]

ولن يخشى الله ويخافه إلّا من عرفه وأدرك عظمته سبحانه وتعالى، فما لم تعرف الله حق معرفته فلن تؤمن به ولن تخافه.

وكم هو واجب علينا أن نتعرف على عظمة الله سبحانه وتعالى من وحي أسمائه وصفاته، لِنزداد منه قُرباً، فالعلاقة القدسية لا تكون إلّا على قدر المعرفة والإدراك.

قال أحد العارفين بالله: إن تَمَتُّع المؤمن برؤية الله يوم القيامة يكون على قدر معرفته له في الدنيا.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

---

(١) أبو العتاهية.

لست أدري إن كانت هذه الآية تكملة لآيات الصوم أم أنها تطرح موضوعاً آخر. لكنني أتخيل أن الله سبحانه وتعالى يقول لنا: إنكم بعد أن صُمتم رمضان وعرفتم حدود الله، وأنه كان يُحرِّم عليكم أثناء الصوم أموراً هي حلال عليكم في الظروف العادية، فكيف لكم أن تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، وكيف تستخدمونها بالغش والفساد، وتستغلونها في رشوة الحاكم ليعينكم على أكل أموال الناس بالباطل والإثم والعدوان؟.

روح عبادة الصَوم في رمضان

من فيض رحمة الله وتحنُنِه على عباده أن جعل باب التوبة والمغفرة مُشرَعاً لهم في كل لحظة، حيث قال ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكفِرات لما بينهن ما اجتُنِبَت الكبائر»(١).

فما لا تغفره الصلاة العادية تغفره صلاة الجمعة، وما كان أكبر مِن أن تغفره الجمعة يأتي رمضان فيغفره، وما كَبُر من الذنوب على مغفرة رمضان فيغفره الحج.

فأركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها من العبادات ليست مُجرد تكاليف، إنما هي أبوابٌ للرحمة والمغفرة يفتحها سبحانه لعباده، بل ويأمرهم بإتيانها تكفيراً لخطاياهم وكسباً للأجر والثواب.

مِن خلال هذا المنظار يمكنك أن ترى الصوم على أنه معاهدة سنوية، تتجدد كل عام، يعقدها العبد مع ربه شاهداها الجوع والعطش، وموعد وحفلة التوقيع يوم العيد، معاهدة يغفر الرب بموجبها للعبد الصائم ما احتقبه من ذنوب ومعاصٍ خلال عام كامل. أما الطرف الثاني(العبد) فيتعهد بصوم رمضان صوماً صادقاً بكل ما يعنيه الصوم من خضوعٍ وطاعةٍ وخشوع، مُستلهماً روح الصوم، ومُلتزماً بمقصد الشارع منه، بنفس قَدر التزامه بأركان الصيام وسُننه المتمثلة بالامتناع عن المآكل والمشارب والمناكح خلال سحابة النهار من بزوغ الفجر إلى دخول الليل. (وكلوا واشربوا....إلى الليل).

وعلى العبد أن ينظر من يُعاهد، وأن يُحاسب نفسه على مقدار الوفاء قبل أن يُحاسب.

والصوم - كسائر العبادات وكسائر خلق الله - ينطبق عليه واحد من أهم نواميس الله في خلقه وهو أن له جسداً وروحاً، فجسدُ الصوم يتمثل في أركانه وسُننه. أما روحه فتتجلى في قصد الله منه، وكما أن الجسد والروح متلازمان ولا قيمة لأحدهما بدون الآخر، كذلك روح الصوم وجسده هما أيضاً متلازمان ولا يُغني أحدهما عن الآخر، ولذلك فنحن مُطالبون بتفَهُم روح الصوم والالتزام بها واستلهامها ومُعايشتها بقدر التزامنا بالامتناع عن الأكل والشرب والنكاح. هنا

(١) صحيح مسلم- باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات- حديث ٥٧٢.

يتجلى هدف وقصد هذا البحث وهذا الكتاب.

إليك الآن محاولة لتقصّي وتفهُم روح هذه العبادة الفذة:

إنَّ أول خطوةٍ على طريق فهم روح هذا الشهر العظيم وروح هذه العبادةِ الفذة أن تعيش السعادة الغامرة أثناء لحظات انتظارك لهذا الشهر، عندما يتحرى المسلمون في كافة أصقاع الأرض هلال هذا الشهر الكريم مع غروب شمس آخر أيام شهر شعبان المبارك. وتستلهم كيف تُشَكِّل هذه اللحظات وهذه المناسبة عيداً دينياً رائعاً يجتمع عليه المسلمون كما يجتمعون على عيد الفطر وعيد الأضحى، فيُمثِل اجتماع المسلمين - صغاراً وكباراً، شيباً وشُباناً، ذكوراً وإناثاً - في عملية تحري هلال هذا الشهر أول صورة من صور العبادة الجماعية التي تجمع قلوب المسلمين على قلب رجل واحد، تجمعهم في مهرجانٍ روحيٍ لا ترى له عند غير المسلمين مثيلاً.

فياليتك تغتنم هذه المناسبة الطيبة فتصحب الأهل في نزهة برية لمشاركة المسلمين تحري هلال رمضان وكذلك هلال شوال.

وفي رسم رائع سجَّل الرسام والفنان العالمي إيتان دينيه الفرنسي الجنسية -الذي اعتنق الإسلام بكل قناعة وطواعية ورضى- فيه عملية ولحظة ترقُب وتحري هلال رمضان.

النية تعتبر من أهَم شعائر الصوم وأركانه،- نية العبد المؤمن أبلغ من عمله-، ونية الصوم هي أن تُقرر أنك ستصوم، ومحل النية هو القلب لا اللسان وقد يَعقِد المسلم النية مرةً واحدة عند بداية رمضان عن جميع الشهر، وقد يعقدها يوماً بيوم قبل بزوغ الفجر.

ومِن روح النية أنك تعرف وتُحدد ما تريد، وما أحرانا وما أجدرنا أن نعرف ما نُريد، فكم من الإخفاقات تُصيب الإنسان في حياته لأنه لا يعرف ما يريد، بل يترك الأمور على عواهنها مُعتقداً أن ذلك نوع من التوكل على الله، وهو لا يدري أن في ذلك ضَرب من التواكل، وطريق قصير إلى الضياع ومما يُبين أهمية النية في الصوم وغيره من العبادات أن العبادة إذا كانت بدون نية فهي مرفوضة وغير مقبولة.

يُعلـِّمُنا ذلك مكانة النية وأهميتها في العبادات وفي كل أمور الحياة، فمع النية يُرتـِّب المرء أمور حياته ويُنظم شؤونها.

فعندما تنوي الصوم تَعْلَم أنك ستصوم من غَدِك، عندها ستُرَتب امورك وبرنامج غدك على صوم ذلك اليوم فتستعد نفسياً وتُسخِّر كل أمورك وكل

الظروف من حولك لتؤدي هذا الصوم على الوجه الأكمل وبما يُرضي الله.

السُّحور

كلمة السُّحور قد تعني ما يُؤكل وقت السحور، وقد تعني الفعل وهو أكل طعام السحور. والسحور ضَربٌ من ضروب تحنن الله ولطفه على الصائمين، فقد سَنَّ سبحانه وتعالى لنا السحور وجعله طُعمة أطعمناها، فما أجدرنا أن نقبلها ولا نردها، كما فصل سبحانه بالسحور بين صوم المسلمين وصوم غيرهم من أهل الكتاب.

وفي الحَثِ على السحور قال ﷺ: «من أراد أن يصوم فليتسحر بشيء»[1].

وزيادة في الحث قال - ﷺ- تسحروا فإن في السحور بركة[2].

وقال- ﷺ- مُحذرا من مَغبةِ تركه: «إن السحور بركة أعطاكُموها الله فلا تدعوها»[3].

وقال أيضاً: عليكم بهذا السحور فإنه الغداء المُبارك.

وتوضيحاً لعظيم قدر السحور وكبير أجره ورضى الله عنه قال -ﷺ-: «إنَّ الله وملائكته يُصلّون على المتسحرين»[4].

حُكمُه: مُستحب وسُنة، وليس بواجب. لكن ينبغي للمُتَسحر أن ينوي بسحوره الاقتداء بفعل النبي والامتثال لأوامره، ليكون سحوره بذلك نوعاً من العبادة.

وقته:

قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾

---

(١) حديث ١٥٣٣٧- مسند جابر بن عبد الله – مسند أحمد.

(٢) البركة هي الزيادة والنماء، وذلك بنزول الخير الإلهي في الشيء وثبوته فيه، وقد تكون البركة في المال، في الدار، في الطعام، في الأولاد، في الأسرة، في العلم، .... الخ. حديث ١٩٥٧ – الصوم – صحيح البخاري.

(٣) حديث ٢٣٨٤٣ – أحاديث رجال من أصحاب النبي – مسند أحمد. عن عبد الله بن الحارث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - أن رجلاً دخل على النبي ﷺ وهو يتسحر فقال...

(٤) حديث ١١٣٨٤- مسند أبي سعيد الخدري – مسند

[البقرة: ١٨٧]. فوَقتُ السحور ممتد طوال ليلة الصوم، لكن السُنَة أنه يبدأ من منتصف الليل الأخير، ويمتد إلى طلوع الفجر الصادق، أي حتى يُؤذن المؤذن لصلاة الفجر – الأذان الثاني-، و بذلك يمتد جواز الأكل والشرب والجِماع إلى أن يتم التحقُق من طلوع الفجر.

ومن رحمة الله ولُطفه أن سَنَّ لنا وحثنا على تأخير السحور، بل وجعل ذلك من آداب السحور وسُننه، مع جواز تقديمه. وكان الصحابة- رضي الله عنهم- يؤخرون السحور تمسُكاً بالمندوب، وطلباً للثواب، ما لم يَخشَوا طلوع الفجر.

وزيادة في تحنُنِه سبحانه أن سمح لمن يسمع الأذان الثاني وكانت في يده أو في فمه لُقمة أو شُربة من ماء أن يأكلها أو يشربها، ولم يجعل في الأذان الثاني الحدِّية في التوقف عن الطعام والشراب.

مع النية يكون السحور وهو أحد شعائر الصوم وسُننه، وفيه نتناول قبل لحظةِ[١] الإمساك ما نشاء من الطعام والشراب، فقد قال ﷺ: تسحَّروا فإن في السحور بركة... قالها وما أصدقه من قائل، قالها من لا ينطق عن الهوى. والبركة هنا قد تكون بركة معنوية أو صحية أو مادية، وقد تكون عِبرةً وموعظة.

ففي فترة السحور تأكل ما تشاء وتشرب ما تريد وبقدر ما تريد، وقد تُباشر زوجك إن اشتهيت، لكن ما أن يُعلن المؤذِن موعد الإمساك وقد يكون ذلك بكلمة واحدة هي (الله أكبر، الله أكبر) حتى تتوقف عن الأكل والشرب والمناكح ويُصبح كل ذلك ممنوعاً بل ومُحرّماً عليك. لعل في ذلك موعظةً وذكرى لمن كان له قلب، لحظة قصيرة من الزمن تفصل بين المسموح والممنوع، بين الحلال والحرام، بين الحياة والموت، بين العبقرية والجنون.

ناموس من نواميس الله في الأرض تعيشه وتتعلمه وتُمارسه عملياً. تلك موعظة وبركة معنوية من مواعظ السحور وبركاته. وهناك بركة جسمية صحية، ففي أول النهار أنت مُقبِلٌ على عملك وكسب رزقك ورزق مَن تعول، والعمل يحتاج إلى طاقة يستمدها الجسم من الغذاء[٢].

والسحور هو مصدر الغذاء والطاقة، وهذا أحد بركات السحور.

أمّا بعد الظهر فغالباً ما نتوقف عن العمل فلا نحتاج لكثيرِ طاقة، وإن

---

(١) تحنُناً من الرسول ﷺ على الصائمين فقد حثَّ على تأخير السحور بقدر المُستطاع.

(٢) (الإسلام دين العمل والإنتاج، دين يرضى لنا الله من خلاله أن نكون أول الأمم وأرقاها وأسبقها إلى كل خير وغِناً وإكتفاءً).

احتجناها فسوف نستمدها من مخزون الجسم من الدهون والسكريات المتكدسة فيه، ويعمل استغلالنا لهذا المخزون من الطاقة على مدى شهر متواصل على تنقية أجسامنا وتطهيرها من مخزونها من السموم والفضلات والمخلفات الضارة.

لذلك يَنصح الأطباء الصائمين بممارسة بعض الرياضة الخفيفة بعد ظهر يوم الصيام، وذلك لاستهلاك هذا المخزون من الفضلات والسموم. ولا يُنصَح برياضة الصباح في رمضان لأنها تستمد طاقتها من غذاء السحور ومخلفات الفطور وليس من مخزون الجسم.

حكمة أُخرى بالغة تنطلق مع موعد الإمساك، ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾.

حيث فرض سبحانه أن يبدء الصوم عندما ينشق الفجر وينفلق الصباح - فالق الإصباح...- لعل في ذلك دعوة من الله إلى الصائم ليشهد ويعيش لحظة خلق النهار وولادة يوم جديد، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء: ٣٣]، فيشاهد ويتتبع مراحل إيلاج النهار في الليل﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] فيتفكر في عظمة الخلق وإبداع الخالق، ويَعيَ فضل الله بالانتقال التدريجي من الظلام إلى الضياء، وأثر ذلك في الحفاظ على صحة حاسة البصر وعلى إنتاجية الكائنات الحية على اختلاف أنواعها ومراتبها.

ومما يؤكد هذا الظن أنّ صلاة النوافل تكون مكروهة في هذه الأثناء - من بعد صلاة الفجر حتى الشروق-. لقوله ﷺ: «لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فتصلوا عند ذلك»(١).

ولعل من أسباب هذه الكراهة أن يُتيح سبحانه للصائم فرصة التعرُّف على

(١) حديث ١٩٦٩ – ب لا تنحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها- صحيح مسلم – عن عائشة رضي الله عنها.

اختلاف الليل والنهار ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، كما أنها فرصة رائعة لمشاهدة جمال الشروق وروعته، مناظر تتجلى في صفحة السماء الشرقية تختلط فيها ألوان الشفق بزُرقة السماء مُسطِّرةً بذلك لوحةً ربانيةً يعجز اللسان والقلم عن وصف جمالها وروعتها.

لحظات تَبرز فيها عظمة الخالق وقدرته، وكيف يستحيل الظلام إلى ضوء تدب معه الحياة في الكائنات، فيسعى كلٌ على رزقه ورزق عياله مُتحرياً الحلال من الرزق. ثم تَختتم هذه المشاهد وهذا التفكر بركعتي الضُحى في المسجد لتنال أجر حجة وعمرة تامتين.

بعد ما يرى الصائم من مشاهد عظمة الخالق وبديع صُنعهِ ما يرى، كيف له أن يقبل على شيءٍ مما حرم الله؟.

ثم يعيش الصائم نُمو النهار ويُتابع تطوره وتنقُل الشمس في كبد السماء بتفكر وتعقل عميقين، فمع الجوع وقلة الطعام يَصفى الذهن، وينطلق الفكر، ومع هذا الصفاء الذهني يؤدي الصائم كافة واجباته وأعماله اليومية بإتقان وإخلاص وأمانة، تلك الصفات التي هي من أساسيات بل ومن صُلب روح وأهداف الصوم، فإن لم يصل الصوم بك إلى هذه الأخلاق والسلوكيات فأعِد النظر في صومك.

تتوالى ساعات النهار ويأخذ منك الجوع مأخذه، فيعضك بأنيابه وينال منك العطش مناله، تتألم وقد تتلوى جوعاً وعطشاً، فلا تجعل ذلك يُضايقك، فهذان من أهداف الصوم، لِما فيهما من آثار نفسية وجسدية طيبة على الصائم.

لعل الجوع والعطش يدفعانك للتفكر في فضل الله وكرمه عليك حين وفَّرَ لك المأكل والمشرب حتى ظننت أنهما من بديهيات الحياة، وأنهما تحصيل حاصل، وشيء مفروغ منه، فلم تكن تراهما نعمة فائقة لا يُقادَر قدرها، تستحق كل الشكر لله واهبها ومانحها.

يَمُر النهار مُتكاسلاً وكأنه يتعمد الإبطاء، يُداهمك الجوع والعطش والإرهاق، تنتظر موعد الإفطار وكأنه فرج سوف يحل عليك، تتحرر فيه من قيود وَمذلة الجوع ومن أسر الظمأ والحرمان، فهل لك أن تتصور كيف ينتظر الفقراء صدقتك وفضلك؟.

الطعام أمامك والشراب بين يديك ومع ذلك فأنت محروم منهما، لأن المغرب

لم يَحِن بعد، فكيف بشعور المساكين المحتاجين عندما يكون طلبهم وحاجتهم بعيدة المنال، ولعلها بين يديك...هل من الإنسانية أن تُطيل انتظارهم وتزيد من حرمانهم؟.

فكما أنك تستعجل أذان المغرب لتفطر... فهلّا استعجلت يدك بتقديم الصدقة لكل من يحتاجها أوتستطيع سداد حاجته؟ فَمَدُ يدِ العون والعطف والشفقة مِن أهم مقومات وأهداف الصوم وروحه.

وقد لا تعلم أن لك إخواناً في الإنسانية وفي الإسلام يجوعون ويعطشون رغماً عنهم وبغير إرادتهم، وما ذلك إلّا لفقرهم وعجزهم عن شراء ما يحتاجون.

فبدون أن يعَضَك الجوع بأنيابه ما كان من السهل أن تشعر بشعورهم وتحس إحساسهم وتعيش آلامَهُم وعَوَزهم، فكم من الأشياء لا نحسها ولا نتصورها إلّا إذا عشناها واقعاً.

فالحرمان من المأكل والمشرب لبعض الوقت أدعى للتفكر في هذه النِعَم، وتقدير قدرها فيُشَكِّل ذلك دافعاً لك لتعطف على المُعوزين، وتجود لهم ببعض فضل الله عليك، لعلك بذلك تُنقذهم من شظف العيش وألم الحرمان. فالإحسان من أظهر صفات وسلوكيات وأفضال شهر رمضان، هذا الشعور بالفقراء يستنهض فيك روح الكرم، ويُأجج لديك غريزة العطف والجود، ومع هذه السلوكيات تتجلى روح رمضان وعظمته.

كما أن حِرمانك من مُباشرة زوجك، وتحريمها عليك أثناء الصوم مع أنَّها حلالك، يبعث في نفسك التفكر في فضل الله أن يَسَّرَ لك ذلك بالحلال، بل وفي أي وقت تشاء (فأتوا حرثكم أنى شئتم)، كما يدعوك للتفكر في إخوان لك لهم الرغبة نفسها ولديهم الغريزة ذاتها، لكن ظروفهم المالية لا تُمكِّنهم ولا تساعدهم على ممارسة ذلك، فما أجْدَرَك - بعد هذا الشعور- أن تحس بإحساسهم، وتكون عوناً لهم، فتمارس بذلك إنسانيتك وتفوز برضى الله، وبأجر تفريج كُربةِ أخٍ لك في الدين.

فلا تدخر وسعاً في فعل الخير وتقديم الحسنات خلال صيامك، فهذه السلوكيات بعض أهداف وروح الصوم.

كما يُهيئك هذا الجوع للظّروف الأقسى التي قد تتعرض لها في هذه الحياة المتقلبة غير المستقرة على حال.

والصبر من أهم أهداف الصوم، ومن أبرز خصائصه، حتى أن الصائم يوصف بالصابر، فحَريٌ بالإنسان عامة وبالمسلم خاصة أن يتعلم الصبر ويُوَطّن نفسه عليه.

تقضي يومك مُتعبداً طائعاً مُقبلاً على عملك مُتقناً له، مُلازماً لكتاب الله ما استطعت، وما هي إلّا سُوَيعاتٍ معدودةٍ حتى يأخذ النهار بالرحيل، فتتلون صفحة السماء بألوان الشفق الرائع الجميل مع غروب شمس الأصيل[1] مُعلنةً وداع ذلك اليوم الرمضاني المقدس، مُسطِرةً لك الأجر والثواب- إن شاء الله -، وتقديراً منه سبحانه لجلال وجمال هذه الحظات الروحانية فقد كَرَّهَ صلاة النافلة في هذه الأثناء، لعل الصائم يتفرغ ليعيش ويشاهد هذه اللحظات الرحمانية بكل ما فيها من روحانيةٍ وجمال.

وما هي إلاّ لحظات حتى يُعلِن المؤذن موعد الإفطار- بنفس كلمة إعلان الإمساك: الله أكبر- مُنهياً بذلك صوم يومٍ من أيام رمضانٍ، ومعلناً السماح بما كان ممنوعاً من أكل وشرب ونكاح، لحظة قصيرة فَصَلت بين الممنوع والمسموح، بين الصوم والإفطار، حكمة بالغة وموعظة رشيدة يتعلمها الصائم عملياً من هذا الانتقال اللحْظي بين الممنوع والمسموح.

حتى عند الإفطار لا بد من تريثٍ وذكرٍ لله وشكرله على نعمة الصوم ونعمة الإفطار، تيمُناً بقوله ﷺ: «اللهم إني لك صُمت وبك آمنت وعلى رزقك أفطرت، ذَهَبَ الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[2].

تأكل هنيئاً بل وتستمتع بالسماح بعد المنع، وبالشِبَع بعد الجوع، وبالرِي بعد الظمأ، فتتذكر نعم الله عليك، فتعيش فرحة الصائم عند فِطره، وتتخيل حَال الجوعى والمحتاجين، وضرورة مساعدتهم والعطف عليهم والوقوف معهم. فتُحقق بذلك بعض أهداف الصوم ومراد الله منه.

ولا تنسى أن الله قد رَصَدَ - أخَّرَ- لك فرحةً أخرى تنتظرك عند لقائه، لا أحد يدري كُنهها ولا مقدارما يكون قد خبأه سبحانه لك فيها من أجرٍ وثواب. صوم رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام- التي لا يقوم الإسلامُ بدونها-، فقد فرض سبحانه علينا صيامه، وسَنّ لنا قيامه، فحريٌ بنا أن نُهنئ أنفسنا ببلوغ هذا الشهر المبارك، فنستعد ونتأهب للقائه بل، ونتزود بكل مُقتضيات استقباله من خشوعٍ وخضوعٍ لله، لِما فيه من نعمة لا يُدرك قدرها.

فأول ما تشعر به عندما تبلغ شهر رمضان أنك في فضلٍ من الله عظيم، بأن أمهلك سبحانه ومدَّ في عُمُرِك حتى بلغت رمضان سالماً مُعافى، وفي صحة

---

(١) مع شمس أصيل يوم عرفة تكون النفرة، وينتهي يوم عرفة، ومع شمس أصيل يوم الصوم، ينتهي صوم ذلك اليوم.

(٢) حديث ٢٣٥٩ وحديث ٢٣٦٠ – الصوم – سنن أبي داود.

يمكنك معها صيام هذا الشهر وقيامه، فتنال بذلك شرف أداء هذه العبادة العظيمة. هذا الشرف الذي حُرِمَ منه الكثيرون ممن فارقوا الحياة خلال العام المُنصرم، فما أحرانا أن نسجد سجدة شكر لله تعالى أن بلغنا هذا الشهر العظيم.

لا أحد يضمن لك ولا لغيرك أن تبلغ رمضان القابل فتصومه، بل ولا أُبالغ لو قلت: إنه ليس من عبدٍ يضمن لنفسه ساعة واحدة من العمر.

فقد أوصى لقمان الحكيم ابنه قائلاً: يا بُني لا تُسوِّف، فإن الموت يأتي بغتة، وقد يُفاجؤك المرض فلا تستطيع صياماً ولا قياماً.

ومن روح صيام رمضان أن تشعر بأنك تعيش نفحات ربانية لو أصابتك واحدة منها فلن تشقى بعدها أبداً، فاحرص أن تعيش هذه النفحات بكل العمق وبكل الصدق مُستلهماً بأنك في تجارةٍ أمع الله رابحةٍ، لا كساد فيها ولا خُسران، لأنّ الله سبحانه قد هَيأ لك كل أسباب الربح والأجر والمغفرة، لقد قَيَّدَ سبحانه الشياطين وصفَّدَهم، وفتح أبواب الجنة على مصاريعها، ودعاك لتدخلها من أوسع أبوابها، من باب الريان، ريّاناً من العطش والظمأ، كما أوصدَ أمامك أبواب النيران بل وصَّدك عنها.

ومن روح رمضان أيضاً أن تعيش نعمة أن فتح الله لك أبواب غفران ذنوب سنة كاملة، كما ويسَّرَ لك الأُمورالثلاثة التي يتوجَب معها تكفير الذنوب ومغفرتها، وهي صيام رمضان، وقيامه، وقيام ليلة القدر.

وجعلك على موعدٍ مع عتقٍ من النار لقوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومَن قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

لكل ما سبق ولغيره أعتقد أنك ستنظر الآن إلى رمضان على أنه فرحة غامرة ونعمة بالغة، بل وفرصة تتجدد كل عام، فهو شهر المغفرة، فمن لم يُغفر له في رمضان فمتى سيُغفر له؟ فالمحروم من حُرم هذا الشهر، فهو بذلك فُرصة لا تُبقي لك على الله حُجة، فرصة يُقبِل فيها سبحانه عليك بالفيوضات والرحمات والعطاءآت......بعد كل هذا هل ترى أنه من المقبول أو الجائز أن تستقبل هذا الشهر وتُحِلّـه ضيفاً عليك وأنت لا زلت مُصِرّاً على اقتراف الذنوب المعاصي؟.

أليس جديرٌ بك أن تستحيي من الله؟ أن تستحيي من رمضان؟ أو على الأقل تستحيي من الصالحين من إخوانك؟

ألا ترى لِزاماً عليك مُراعاة حُرمة هذه العبادة الفذة بالاجتهاد بصالح

(١) حديث ٢٠٥٣ – فضل ليلة القدر – صحيح البخاري.

الأعمال، وبالبعد عن المحرمات، وحتى عن فُضول المباحات؟.
أليس حريٌ بك أن تنتهز هذه المناسبة المباركة فتجعلها فُرصةً لتزكية نفسك، والرقي بها إلى مَصافِّ النُخبةِ من التُقاة الصالحين؟.

وفرصة كذلك لتربية الضمير على أعلى مراتب الإخلاص والنقاء؟.

استلهم مع هذه النفحات الربانية الخاصة التي تعيشها في هذا الشهر روح التكاتف والتناصح، واجعل من ذلك دافعاً لك لمواصلة الطاعات وإتقانها، ولمزيدٍ من الصلوات والنوافل بما لا تُصلّيه في غير هذا الشهر، كما واجعلها فُرصة لبذل المزيد من الصدقات والزكوات، بما لا تأتي به في باقي الشهور والأوقات.

اجعل من شهر رمضان مدرسةً للصبر والإخلاص والصدق، وسبيلاً لصالح الأعمال، واستحضر فيه روح العبادة الجماعية، التي هي من أوضح خصائص صوم هذا الشهر، بكل إيجابياتها وبكل ما تجود به من مردودات فاضلة عليك وعلى المجتمع المسلم. استشعر أثناء صومك وأثناء رمضان نزول الملائكة من السماء يشهدون صومك ويشاركونك عبادتك مُباركين طاعتك فرحين بإقبالك على الله وبتجديدك العهد معه.

ومن روح رمضان أيضاً أن يكون مُخطئاً كل الخطأ من ظَنَ أنّ رمضانٍ محضِ تكاليف بمشاقٍ مختلفةٍ، وأنواع من الجوع والعطش والحرمان من الملاذّ الحسية والنفسية، أو أنه مُجرد إحراج وتعب، لأن معنى التعذيب منفياً أصلاً من كل العبادات الشرعية، فالله سبحانه لا يريد بنا ولا منا أن نُعذّب أنفسنا أو نُحرجها، ولا يهمه سبحانه ولا يعنيه أن نتألم أو نُعاني الجوع أو العطش لقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

يدفعنا ذلك لأن ننظر إلى الصوم بروحية مختلفة .

لكن إذا فهم الصائم رمضان على أنه مُجرد تكاليف بمشاقٍ متنوعةٍ فلن يعود عليه سوى بأقبح النتائج وأسوأ المردودات، من زيادة في الوزن، وتُخمةٍ في المعدة، وترهلٍ بالجسم، وبُشمٍ في الجهاز الهضمي، مع ما سيتبع ذلك من الآلام والأمراض.

لا تنظر إلى الصوم على أنه مُجرد تدبير للجسد ببعض الحرمانات فقط، بل هو أيضاً فرصة للإصلاح الكياني للصائم سوآءً في كيانه النفسي أو المعنوي أو المادي أوحتى الروحي، وإلى أنه تدبير للنفس والروح، وإعادة لترتيب عاداتنا

والخروج بنا من أسرها، وكسر رتابة هذه العادات[١] من تغيير في مواعيد تناول الطعام - من سحور وإفطار - وتغيير في مواعيد النوم لتتناسب مع صلاة التراويح وصلاة القيام وصلاة الفجر.

وإمعاناً في قُدسية هذا الشهر وإجلاله، فقد خَصَّه سبحانه بليلة عظيمة هي ليلة القدر، العبادة فيها تعدل عبادة ألف شهر في غيرها. فحريٌ بك أن تستلهم عظمة هذه الليلة وقدرها، فتعكف في كل لحظاتها على الإستغفار والطاعة المتميزة بالخشوع والخضوع، سائلاً الله فيها العفو والعافية والمغفرة.

كما قال ﷺ لأم المؤمنين عائشة عندما سألته بماذا تدعو إن هي وُفِّقَت إلى ليلة القدر؟.

قال ﷺ: قولي: «اللهم إنك عَفوٌّ تُحب العفو فأعفو عني».

وبقدر حرصك على التبرك والانتفاع بهذه الليلة احرص كذلك ألاّ تفوتك بركة وفضل وأجر ليلة العتق من النار - آخر ليلة من ليالي رمضان- فأجزِل فيها الدعاء والاستغفار والعمل.

كما ويريدنا سبحانه أن نتخذ من رمضان فرصة ذهبية نتغلب من خلالها على غرائزنا وقُصوراتنا الذاتية، فنُعيد بذلك جوهرة أنفسنا ونُعيد سياستها وتدبيرها جسمياً ونفسياً، فنستمد بصومه ثقتنا بأنفسنا لننتصرعليها فنروض بذلك إرادتنا ونعيد تاهيلها لتُصبح قادرةً على المُفاضلة والاختيار، مما يرقى بإنسانيتها ويؤهلها لحمل الأمانة واقتحام الصِعاب.

كما أن عليك أن تتخذ من رمضان فُرصةً للمحافظة على الأدب مع الله، ومع الناس، بل ومع نفسك أيضاً، فتحفظ لسانك المُتفلت من عِقاله، فتحبسه وتلجُمه عن التفوه بما لا يليق بيوم الصوم، حتّى لا يكون سبباً في هلاكك، وفي كساد الصالح من عملك. ولتجعل من رمضان مدرسة لك، فتتخلق بهذه السلوكيات وتجعلها منهج حياتك في رمضان وفي غيره على مدار العام.

ولا ننسى قول الرجل الصالح عبدالله بن المُبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

وليكن صوم رمضان مناسبة تُعَوِّد نفسك من خلالها على أكل الحلال الطيب من الطعام ومن الرزق، ونبذ ما حرَّم الله من الكسب.

واجعله كذلك مناسبة للعزوف عن مُبارزة الله فيما يكره، واستشعر تحنُنه وكرمه الزائدين على صائم رمضان، ولتسكن قلبك خشيته وتوقيره فتُدرك بذلك

---

(١) معظم ضُروب العبادة المهلكة الموبقة منشأها الإلف والعادة.

مهابته، فتتذكر أنه يَستُر ولا يفضح، ويعفو ويغفر، فبادر بالتوبة والإنابة إليه، واجعل صومك طريقاً للقُرب منه ولمعرفته، فلعله يَقْبَل صيامك وقيامك، وَيَقْبَل منك رمضان فتفوز بأعظم مرتبة وأعلى منقبة يتمناها كل عابد وهي الوصول إلى مقام مُشاهدة الله يوم القيامة، فتكون من المُشاهدين.

ولك أن تلحظ أنَّ آيات الصوم الخمس قد ذكرت حسنات وأجر الصوم على أنها الدُنُو والقُرب من الله والفوز التي هي أعلى مراتب الإيمان، حيث قال ﷺ: عليك بتقوى الله فإنها رأس كل شيء.

اجعل من رمضان شهرَ صمتٍ ومُراجعةٍ وهدوءٍ، تتجنب فيه صَخَبَ المُنتديات، وقبيح السهرات، والاندماج مع البرامج الترفيهية - سماعاً أومُشاهدةً - التي تخدش الحياء، ولا تليق بحُرمة هذا الشهر وقُدسيته.

واعلم أن رمضان يتميز بميادين فسيحة للعلم، فاجتهد في مُجالسة العلماء والتفقُه على أيديهم، وانتهز هذه الفُرص الثمينة بجعل مجالسك مجالس خير، مُجتنباً الخوض في أحاديث الدنيا، وما سَفِهَ مِن القول، واغتنم نعمة الصحة والوقت[١] في التفقه في الدين وفي ضُروب الخير، وفي الطيب من القول والعمل.

وليكن صوم رمضان دافعاً لك لتكون المُبادِر لكل خير، والمُستنكر لكل شر، سواءً في سلوكك أو في أفعالك أو أقوالك، لقوله ﷺ: «طوبى لمن كان مفتاحاً للخير مِغلاقاً للشر، وويلٌ لمن كان مِغلاقاً للخير مفتاحاً للشر»[٢].

واعلم أنّ مِن أحب الناس إلى الله الذين يُحَوِّلون مجالس الشرِ إلى مجالسٍ للخير، فيضمنون بذلك حماية الله لهم من المعصية والخذلان.

اجعل من صومك دافعاً لاغتنام هذه اللحظات والنفحات الشريفة فتتحلل من تبعات العِباد وحقوقهم عليك سواءً المادية منها أوالمعنوية، فتُعيد لكل ذي حق حقه، وتستسمح كل من أسأت إليه، فالقيام بحقوق الله والتخلص من تبعات العبادِ هي من علامات العارف بالله تبارك وتعالى.

احرص أن تتحلى بخصلة يُحبها الله ورسوله وهي السعي في قضاء الحاجات وسداد الديون وإدخال السرور بعيداً عن المَن والأذى بعد العطاء، احرص على كل ذلك لأنك لا تدري أمُدركٌ رمضان القادم أم لا...

رمضان يا شهر الصيام فدتك نفسي تمهل بالرحيل والانتقال
فإنك لا تدري إذا ما الحولُ ولّى وعُدت من قابِلك بخير حال

---

(١) الكثير من الناس مغبونون في هاتين النعمتين (نعمة الصحة ونعمة الفراغ) لأنهم لا يُحسنون استغلالهما بالطيب من القول والصالح من العمل.

(٢) حديث ٣٩٨٢- الدعاء- سنن ابن ماجه.

أتلقـــاني بـــين الأحيـــاء حيـــاً   أم أنـــك تلقـــاني فـــي اللحـــد بـــالي

ولا تنسَ أن مِن روح صَوم رمضان أن بث فضيلة التسامح واللين والمُسارعةِ إلى العفو في قلوب الصائمين، هذه الفضيلة التي يحسُن بك أن تجعلها من أبرز مظاهر تعاملاتك وسلوكياتك تحقيقاً لقوله ﷺ: «ألا أُخبركم بمن تَحرُم عليه النار ويَحرُم هو على النار»؟[١].

قالوا: بلى يارسول الله. قال: كلُ مسلم هيِّن قريبٍ سَمحٍ ليِّن، فالله سبحانه يُحب القريب السهل المُتسامح، بل وتَسُره المُصافَحة والكرَم، وكذا الإصلاح بين الناس. ويكره سبحانه اللّؤم والمكر والخديعة والغش، وكذا تقطيع الأواصر والأرحام.

استعن بالصُحبة النقية الصالحة على أداء الطاعات في هذا الشهر، فالصُحبة الطيبة تنقل العبد من ضيق الغفلة إلى رحابة اليقظة، ومن معصية الرياء إلى إخلاص الطاعة، ومن الرغبة الضالة في الحياة الدُنيا إلى الرغبة الواعية في الحياة الآخرة، ومن الانغماس في المُنكرات إلى الانقطاع للمبرات.

فالنتواصى ولنتناصح في هذه الأيام على الإخلاص في العبادات، والإقبال على الطاعات، وعلى الصبر والتقَوّي عليه، والتعاون على عمل الخير، كما ونُذَكّر بعضنا بعضاً بالمُحاسبة ومُراجعة النفس والأعمال.

اجعل لنفسك ورداً يومياً يليق بجلال هذا الشهر وعظيم فَضله، واحرص على حظك فيه من الذِكر المُتواصل، والإستغفار والتهليل والإكثار من المبرات والصدقات.

واعلم أن لرمضان اختصاصاً مُتميزاً بالقرآن العظيم، ففيه نَزَل، وفيه كان جبريل - عليه السلام- يُدارسه للرسول الكريم. فالاعتكاف على كتاب الله تلاوة ودراسةً وتدبُراً، ولتَحَوِّل الكسل إلى نشاط، والجهل إلى علم ونور، ولتُعد مُحاسبة نفسك مع كتاب الله، لعلك تجعل منه شفيعاً لك يوم القيامة، لاسيما إن أنت أخذته بصدق، وتلوته بصدق، واتبعت ما فيه وتحاكمت إليه.

مُخطئٌ من يظن أن أجر الصوم أخروياً فقط، ولا يعلم أن أجره في الدنيا قبل الآخرة، بل إن ثواب الصوم يكون في الصوم ذاته، وبكل ما يعود على الصائم من الفوائد الصحية والنفسية والسلوكية والاجتماعية.

ومخطئٌ أيضاً من يعتقد أو يتصور أن رمضان شهر الشهوات والملذات، وتناول ما طاب من المطعومات والمشروبات، مما قد لا يتناوله في غير رمضان، مخطئٌ كذلك من ينتهي به رمضان لأن يصبح مستعبداً لشهواته ولبطنه ولمعدته.

ومن أسفٍ أنَّ نفقات الأُمم العربية والإسلامية بدلاً من أن تتدنى أو تَقِل في

(١) حديث ٢٦٧٦- صفة القيامة – سنن الترمذي- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

رمضان فإنها تزيد بل تتضاعف أضعافاً، فَيُبتلى أكثرُنا بالتُخَم، وقد يموت البعض بالتُخَم وبالبُشَم من شدة الرِي والشِبَع، إن دَلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على سوء تقدير بل على سوء فَهم لأهداف هذه العبادة ومقاصدها، فالصوم بهذه الطريقة - التي لا تؤدي بنا إلَى تحرير رقابنا ولا تحرير أهوائنا و نفوسنا - بالتأكيد ليس هو ما قصده الله من تكليفنا بهذه العبادة، ولا هي بالعبادة التي أرادها سبحانه منا ولنا.

ولك أن تسأل نفسك عند الإفطار أو في نهاية رمضان بماذا عاد عليك صوم رمضان؟ وهل أصبَحَت نفسك أكثر نقاءً ورُقياً؟ وهل أقلعت عن ذنوب ومعاصٍ كُنت ترتكبها قبل رمضان؟

إن كان جوابك نعم فأنت - بإذن الله- في خير، ولك أن تأمل في قبول صومك إن شاء الله[١].

من مشاكل العبادات في مختلف الأديان أنها تتحول إلى طقوسٍ ورسوم وحركات، ومن فضل الله أن روح الصوم لا تعنيها هذه الطقوس والحركات، وما روح الصوم إلاّ نِيَّة وعمل وإخلاص وصدق، بعيدة كل البعد عن الرياء والمظاهر الخالية من المضمون والجوهر.

---

(١) لكن لا تتوقع هجر المعاصي والإقلاع عنها منذ اليوم الأول، بل عليك المثابرة وعدم التعجل، إنما الانتظار ولو لآخر رمضان دون ملل ولا يأس.

استقبال شهر رمضان

بجود من الله ومزيد من اقباله وعفوه، نحن على موعد مع شهر كريم عظيم، شهر فيه أيامُ شريفات، وليالٍ حافلةٌ بالطاعات، تُستجاب فيه الابتهالات والدعوات.

شهر تتنزل فيه الرحمات، وتُحَط فيه الخطايا، شهر فضيل وموسم عظيم، تعم فيه الخيرات والبركات، وتُفَتَح فيه أبواب الرحمة والمغفرة لكل تائب ، وأبواب الخير لكل راغب، وأبواب العودة والقبول لكل آيب. شهر محفوف بكل أسباب الخير والرحمة والمغفرة، شهر تتوفر فيه أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

شهر يعظم فيه الأجر، وتجزل فيه المنح والهبات، فيه تُفتح أبواب الجِنان وتُغلق أبواب النيران.

من خير إلى خير ومن بِرٍ إلى بِر، شهر هو معرِض التجارات الأُخروية الرابحة.

شهر قال فيه ﷺ:- «أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»(١).

شهر جليل أُنزل فيه القرآن هدىً للناس وبيِّنات من الهدى والفرقان.

شهر تكللت فيه بالنصر معاركنا، وغطَّت أنحاء المعمورة فتوحاتنا، وتجلت فيه إشراقاتنا وانتصاراتنا، فيه انتصرنا ببدر، وفي حطين وعين جالوت، فيه فتحنا مكة وهدمنا الأصنام والأوثان.

نحن الآن على موعد مع شهر رمضان شهر الصوم، شهر الصبر، شهر التوبة والرضوان.

رمضان شهر المواساة وشهر المروءة، فيه تنمو بذرتها ويشتد عودها، أُكلها طيب وريحها عَبِق بإذن الله، فلا صيام لمن لا مروءة له، لأن المروءة كرامة وعزة، فمن دَخَلَ رمضان وجبت المروءة في حقه. ومن مزايا المروءة تجنب الدنايا والرذائل من الأقوال والأخلاق والأفعال.

رمضان شهر المناجاة في الخلوات، فيه تصلح مناجاة الملك في الخلوة وفي الجلوة.

شهر الصلاح والإيمان، شهر الصدقات والإحسان، شهر تصوم فيه عن

(١) أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة.

الرذيلة والمفسدة والمغيبة وعن الظلم والحسد أيدينا وعيوننا وآذاننا وألسنتنا.

شهر يضعنا على موعد مع مغفرة جليلة، وفرصة عظيمة تتجدد كل عام لكي لا يبقى للمسلم على الله حجة، يضعنا على منقبة سامية تؤدي بنا إلى فضل من الله واسع، فمن سلكها عارفاً بحقها بلغ مسالك الرضوان، ونزل منازل العفو والغفران.

خصائص رمضان وأفضاله

أفضال شهر رمضان وخصائصه مثل حسناته وبركاته لا حصر لها ولا عدد، في هذا المقام أذكر لك بعضاً منها:-

١- اسم رمضان قد يكون اشتُق من الرمضاء وهي شدة الحر التي تصل إلى درجة الإحراق، فالصوم يحرق الذنوب كما تحرق النار الحطب.

٢- شهر تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار.

٣- رمضان مرتعٌ للصالحين وروضةٌ من رياض الرحمن، روضة ملؤها الصيام والصلاة، والتهجد وترتيل القرآن، روضة يُستجاب فيها الدعاء، وتكثر فيها الصدقات والعطاءات.

٤- رمضان فيه ميادين واسعة فسيحة للعلم يتوجب علينا اقتناصها وعدم إضاعتها.

٥- رمضان شهر القرآن، فيه أُنزل، وفيه نتواصل مع كتاب الله عز وجل على نحو لا يتوفر في غيره من الشهور، فيه نزيد صلتنا بالقرآن تلاوةً وتدبراً لهذا الكتاب العظيم.

٦- شهر يغدو فيه عالم المسلمين ودنياهم مسجداً ومحراباً، فيُقبلون فيه على الله إقبالاً خاصاً..يُصَلّون فيه مالا يُصَلّون في غيره، فتحفل أيامهم بالصيام، ولياليهم بالقيام، يعمرون أوقاتهم بالطاعات والابتهالات والدعوات.

٧- شهر قال فيه:- «رمضان شهر يغشاكم فيه الله، فينزل الرحمة ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، فأروا الله من أنفسكم خيراً فإن المحروم من حرم فيه من رحمة الله»[١].

٨- وقال ﷺ:- «رمضان شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب عبادة بن الصامت.

النار». رحمة تتبعها مغفرة ينتهيان إلى عتقٍ من النار.ولم يؤكد ولم يثبُت أن المؤمن قد يتحصل على جميع هذه المناقب على مدى عمره بكامله، لكن ومِن رحمة الله وعظيم فضله وجزيل عطائه أنَّ المؤمن إن صام رمضان حق صيامه فقد يتحصل عليها جميعاً في شهر واحد، فلو أنَّ الله سبحانه قبل منك صوم رمضان لحصلت على جميع هذه الفضائل في شهر واحد.

٩- رمضان شهر لا ككُل الشهور، فلا يماثله ولا يعادله شهر، يُقبِل فيه سبحانه على عباده بالفيوضات والتجليات فتكون رحماته سبحانه فيه موصولة..

١٠- شهر تشتعل فيه مجامر القلوب، وتتأجج فيه الأشواق، فتتوفر فيه من صنوف الموافاة والمجاهدة والمعاناة الروحية ما لايتوفر في غيره من الشهور، فيه تجود النفوس، ويتسابق المتعبدون بشتى دروب الخير والإحسان فيكون أسعد الشهور بالصدقات والحسنات.

١١- رمضان شهر التقوى وهي الزاد الأقوى، فيه يؤوب الشاردون، ويتوب العاصون، ويجود البخلاء، وينشط الكسالى، ويصل السائرون، ويتصل المنقطعون.

١٢- رمضان مضمار سباق وميدان تنافس، فيه يشهد المحجوبون ويعرف طريقهم إلى الله المترددون ، وتتطهر من الدنس قلوب الخاطئين ويُلقي عن كاهلهم ثياب الإثم والعصيان العاصين .

١٣- رمضان شهر اختصه سبحانه بعبادة فذةٍ متفردةٍ، عبادة الصوم، وهي العبادة الوحيدة التي نَسَبَها سبحانه إلى نفسه، عبادة التوحيد، عبادة يتحد فيها المسلمون في موعد سحورهم وموعد إمساكهم وموعد إفطارهم ، يشترك فيها الفقراء والأغنياء، الصغار والكبار، الذكور والإناث، مما يجعل الصوم عبادة جماعية، تجمع المسلمين، لذلك تجد المسلمين يتحسَسون بشدةٍ من خرق حُرمة هذه العبادة، أكثر من تحسُسِهم من خرق غيرها من العبادات.

١٤- رمضان شهر يُنادي فيه منادٍ من قِبَل الرحمن فيقول:- يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.

١٥- رمضان شهر يُعمَر فيه البيت الحرام ما لا يُعمَر في شهر غيره، فيكثر فيه العُمّار ويعج بالزوار.

١٦- رمضان شهر يشهد من نزول الأملاك ما لايشهده شهر غيره، يُشاركون عباد الله الصائمين فرحتهم وتَبتُلهم وإقبالهم على الله .

١٧- رمضان شهر خَصَّه الله بليلةٍ هي خير من ألفِ شهر هي ليلة القدر، من

حُرم خيرها فقد حُرِم

١٨- رمضان شهر تتضاعف فيه الحسنات والصدقات، وتُـرفع فيه الدرجات، ويَـتَـقرب فيه العباد إلى مولاهم بالأعمال الصالحات.

١٩- رمضان شهرٌ تُفتَح فيه أبواب الرحمة وتتيسر فيه أسباب المغفرة، وما فَـتَـح سبحانه للعبد أبواب الجنة وهو يريد أن يحرمه منها، وما أغلق أبواب النار دونه وهو يريد أن يُـعذِبه فيها، وما صفَّد فيه الشياطين إلّا لنـُقبِل عليه، فعجَـباً لمن تشتاق له الجنة وتفتح إليه أبوابها وتتزين له في رمضان ثم هو لا يشتاق لها ولا يُـقبِل عليها.

فرمضان ليس شهر الصوم فقط، بل هو شهر الصلاة والقرآن والزيارة والصدقات، شهر الزكاة والصبر والعُمرة، شهر العبادات، فيكون بذلك تُرجُمانٌ جامعٌ لجميع الأركان الركينة، والمهام العظيمة لهذا الدين، وهو نُسخة جامعة لشتى صنوف العبادات والمبــرات .

فرمضان بذلك أسعد الشهور وأفضلها، بل وأحبها إلى الله، وقد شبهه شيخ الإسلام جمال الدين أبو فرج بن الجوزي بيوسف بين أبناء يعقوب الاثنى عشر حين قال:- الشهور إثنا عشر شهراً يوسُـفها رمضان، فكما كان يوسف الأحب إلى أبيه من بين إخوته، كذلك رمضان هو الأحب والأدنى إلى الله من بين شهوره.

ما هو الصوم ؟؟

الصوم في اللغة العربية: هو الإمساك عن أي فعلٍ أو قولٍ كان، ومن معناه الصمت، حيث قال تعالى على لسان مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ **[مريم: ٢٦].**

أما المعنى الشرعي للصوم: فهو الإمساك عن الطعام والشراب وعن إتيان النساء والمفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النيَّة.

حُكمه: صوم رمضان هو الرُكن الرابع من أركان الإسلام الخمسة، وقد فرضه سبحانه على المسلمين في السنة الثانية للهجرة، - كما كتبه على أمم قبلهم - حين قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ **[البقرة: ١٨٣] .**

وفي قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ **[البقرة: ١٨٥] .**

وقال ﷺ: «بُنيَ الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع له سبيلا»(١).

وكذلك أجمع المسلمون على فَرَضية شهر رمضان إجماعا قطعيا بالضرورة من دين الإسلام فمن أنكر وجوبه فقد كفر.

---

(١) حديث ٨ – الإيمان- صحيح البخاري. عن ابن عمر – رضي الله عمهما-.

فضائل الصوم عامة وصوم رمضان خاصة:

لقد أودع سبحانه وتعالى في الصوم من الفضائل والمزايا التي تعود على الصائم ما يصعب حصره ويشق على المرء عَدّه، سأحاول في هذا المقام ذِكر بعض هذه الفضائل إظهاراً وتوضيحا لقداسة وعظمة هذه الشعيرة:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. فالصيام سبيل إلى التقوى التي هي أعلى منزلةٍ يُمكن أن يصل إليها المؤمن، فهي مَنقبةٌ عظيمة ومرتبة عالية لا يَتَحصَل عليها إلّا القليل من عباد الله، نسأل الله أن نكون منهم.

٢- بَيّن ﷺ أن الصوم عبادة لا تعدِلها عبادة، ولا مثيل لمكانتها بين سائر العبادات، حين سأله أبو هريرة رضي الله عنه قائلاً: يا رسول الله مُرني بعمل.

فقال ﷺ: «عليك بالصوم فإنه لا عِدل له»[١]، وفي رواية أُخرى: «عليك بالصوم فإنه لا مثيل له».

٣- إذا قَبِل سبحانه صوم العبد جعله سبباً في غفران جميع ذنوبه وبخاصة صغائرها ، وفي ذلك يقول ﷺ: رمضان إلى رمضان مُكفرات لما بينهن.

وقال ﷺ: من صام رمضان إيمانا واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه.

وقال ﷺ كذلك: «الصوم جُنة وحصنٌ حصينٌ من حصون المؤمن، ودرع يحتمي به الصائم ويتقي به الشهوات والخطايا وغضب الله وعذاب النار»[٢].

٤- وقال ﷺ: «في الجنة باب يُقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة»[٣]. والريان صيغة مبالغة من الرِي وهي عكس العطش، ولعل في الحديث إشارة لما يحصل للصائمين من العطش، فالجزاء يكون من جنس العمل. وقال ﷺ: من صام رمضان إيماناً واحتساباً لن يعطش يوم العطش الأكبر.

وهتف هاتف لأبي موسى الأشعري وهو في عرض البحر قائلاً: قضى الله

(١) حديث ٢٢٣٥- الصيام – سنن النسائي.
(٢) حديث ٧٦٩- الصوم – سنن الترمذي.
(٣) حديث ١٩٣٠- الصوم – صحيح البخاري.

على نفسه أن «من أعطش نفسه في سبيل الله في يوم صائف سقاه الله يوم العطش الأكبر»[1]. وفي رواية أُخرى: كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة.

٥- من فضائل الصوم أنه يأتي شفيعاً للعبد يوم القيامة حيث قال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة»[2]. والعاقل من يجعلهما شفيعين له لا خصيمين.

٦- جعل الله سبحانه وتعالى للصائم مكانة عالية حين وضعه في مقام القانتين، الصادقين الصابرين..

وهذه أعظم الصفات التي يُمكن أن يتحلى ويوصف بها المسلم والمؤمن حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٧- للصوم قُدسيةٌ كبيرة حتى أنه يُكفِّر فتنة الرجل بأهله وماله ونفسه ... فقد قال ﷺ: «فِتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يُكفِّرها الصيام والصلاة والصدقة»[3] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (رواه مسلم والبخاري).

٨- من مكارم الصوم أنه زكاة للبدن فقد قال ﷺ: «مِن كل شيء ولكل شيء زكاة »[4]، وزكاة البدن الصوم.

٩- من فضائل الصوم أنه يؤهِّل صاحبه للسياحة في ملكوت الله حيث وصف

---

(١) أخرجه ابن حبان في المجروحين- عن عبد الله بن عباس.
(٢) حديث ١٩٢٩ – الصوم- صحيح البخاري.
(٣) حديث ١٩٢٩ – الصوم – صحيح البخاري..
(٤) أخرجه الألباني في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (٤٩٧/٣).

سبحانه الصائم بالسائح حين قال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

حتى أن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: سياحة هذه الأمة الصيام.

١٠- جزاء كافة الأعمال الصالحة يخضع إلى معيار مشترك هو معيار التضعيف، إلاّ الصوم فإن جزاءه يخضع إلى معيار آخر هو معيار الجزاف، وهو الجزاء غير المحدود الذي لا يعلمه إلا الله.

١١- تكريما للصائم أن جعل سبحانه له فرحتان، فرحة عند فِطرهِ يذهب بها ظمئه ويسد جوعه، وفرحة عند لقاء ربه لا يعرف كُنهها ولا مقدارها إلا الله .

١٢- يمكن الأخذ من أجور جميع العبادات لتكفير الذنوب إلاّ صوم رمضان فلا يؤخذ من أجره شيء لقوله ﷺ: كل الأعمال كفارات إلا الصوم .

١٣- قد يَفوق أجر الصائم أجر الشهيد ، فقد قال ﷺ: لخلوف فَمِ[1] الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وقال ﷺ كذلك: ما مِن كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيل الله - والله تبارك وتعالى أعلم بمن يُكلم في سبيله - إلا أتى يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك[2].

١٤- الصوم سبيل إلى الإحسان، لأن الإحسان أظهرُ ما في الصيام، وبالتالي فهو أكثر العبادات تحقيقا للإحسان- خاصة الصوم الصادق الخالي من الرياء-.

١٥- الصيام مدرسةٌ عُليا لتعليم الصبر وتحمُل الشدائد، بل والسيطرة على شهوات النفس وكَبحِ جماح أهوائها.

---

(١) هذه العبارة وهذا الحديث من أعظم وأبلغ الثناء على الصائم والمدح لعمله حديث ١٩٢٨- الصوم – صحيح البخاري..

(٢) وبمقارنة الحديثين الشريفين نجد أن خَلوفُ فم الصائم أطيب عند الله وأعلى مرتبةً من دم الشهيد.

اخرجه البخاري ومسلم . ٣- مخرج في الصحيح، حديث ٤٩٦٧ – باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله – صحيح مسلم.

١٦- ومن منا لا يدرك أثر الصيام على الصحة؟ ومن مِنا لا يعلم أن الصوم علاج جسمي بدني حيوي لكثير من الأمراض والأدران؟ يُنقّي الجسم ويشفيه، وأنه "رجيم" إلهي يعود على البدن بما يصعب حصره من الفوائد الصحية، كما أنهَ علاج نفسي اجتماعي أخلاقي لا يُنافسه في ذلك طبيب نفسي ولا معالج روحي.

١٧- حبا الله سبحانه الصوم بمكارم كثيرة عظيمة منها أن:-

أ- جعله عِدلاً لتقديم الهَدي في الحج - بل ينوب عنه - لمن لا يستطيع تقديم الهَدي حيث قال سبحانه: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ب- جعله سبحانه دِيةً لمن يقتل مؤمنا خطأ. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٩٢].

ت- جعله سبحانه كفارة لمن يحنث باليمين بعد عقدها. ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ

عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ **[المائدة: ٨٩].**

ث- جعله سبحانه كفّارة لجريمة كبيرة هي مُظاهرة الرجال لنسائهم. ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **[المجادلة: ٤].**

ج- جعله سبحانه كفارة لمن يقتل الصيد وهو محـُرِم. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ **[المائدة: ٩٥] .**

حدث في رمضان

رمضان ساحة مناسباتنا المشرِّفة، وميدان معاركنا الكبرى، ومسرح انتصاراتنا العظمى، ففيه:

١- في رمضان قبل ١٣ عاماً من الهجرة يوم الرابع والعشرين منه، في هذا اليوم اختار سبحانه وتعالى رسولنا الكريم ليتلو علينا آياته ويبلغنا رسالته.

٢- كان من دأبه ﷺ إذا أهل رمضان أن يجاور الشهر كله في غار حراء مُتعبداً مُتحنثاً.

٣-في رمضان جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء وقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ ....

٤- يوم السابع عشر من رمضان انتصر المسلمون في أول معاركهم، وكانت معركة بدر، وفي هذه المعركة قُتل وآحدٌ من أكبر أعداء الإسلام هو الطاغية أبو جهل، وهو عمرو بن هشام المخزومي القُرشي، وكان يُكنى أبا الحكم.

٥- في الخامس والعشرين من رمضان في العام الثامن للهجرة أمَر الرسول ﷺ بهدم أكبر صنم كان يُعبد وهو العُزى، ووكل بهدمه القائد الفذ خالد بن الوليد.

٦- مِن أفضال رمضان أن هُدمت في أيامه الغُر سائر الأصنام:

ففي العشرين منه من السنة الثامنة للهجرة دخل ﷺ مكة ثم الكعبة وجعل يطعن بطرف رمحه عيون الأصنام ثم أمر بها فكُـفِئت على وجوهها وكان على رأسها هُبَل.

٧- يوم الرابع والعشرين من رمضان عام ٨ هـ. هُدمت مناة الكبرى.

٨- في رمضان في العام التاسع للهجرة أسلمت ثقيف، وطلبت من الرسول ﷺ أن يترك لهم اللات ثلاث سنوات فرفض، ثم سألوه سنة فرفض، ثم شهراً فرفض، ثم سألوه أن لا يهدموها بأيديهم، فأرسل معهم أبا سفيان والمغيرة بن شُعبة لهدمها فهدموها.

٩- يوم ١٧ رمضان عام ٢٢٣هجرية اقتحم المعتصم بن الرشيد حصون عمورية ونصر التي استنجدت به بقولها: وامعتصماه.

١٠- يوم ٢٥ من رمضان عام ٦٥٨ هجرية إنتصر المسلمون في معركة عين جالوت بقيادة القائد المظفر الملك سيف الدين قطز.

١١- يوم ١٤رمضان عام ٦٦٦ هجرية فتح الملك الظاهر بيبرس أنطاكية واستنقذها من أيدي الصليبيين.

١٢- في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هجرية، الموافق العاشر من أكتوبر عام ١٩٧٣ ميلادية انتصر الجيش المصري الباسل على جيش يهود في معركة عبور قناة السويس بقيادة القائد المصري الفذ سعد الدين الشاذلي رحمه الله.

مـكانـة من يصـوم رمضــان

رَوى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن أبي هُريرة رضي الله عنهما أنه قال: جاء رجلان من بَلّي من قبيلة قُضاعة إلى رسول الله ﷺ فأسلما معاً، وجاهدا مع رسول الله، وكان أحدهما أشد اجتهاداً من الآخر، فغزا مع الرسول ﷺ واستشهد في أحد المعارك، أما الآخر فقد أخَّـره الله سبحانه سَـنَةً كاملة، أي مات بعد مَوت صاحبه الشهيد بسنة.

قال طلحة بن عُبيد الله أحد العشرة المبشرين رضوان الله عليهم: أُريـتُ الجنة (أي في المنام) فرأيت المؤَخَّـر منهما قد أُدخلها قَبل صاحبه الشهيد فعجبت لذلك، فأصبحت وذكَرت ذلك لرسول الله ﷺ، أو ذُكر ذلك للرسول ﷺ (والشك من الراوي)

١- فقال ﷺ: «من أيِّ ذلك تعجبون؟ أليس قد مَكَثَ هذا بعده سنة؟ وأكرمه ربه فَمدَّ في عُمُره حتى أدرك رمضان آخر فصام وصلّى كذا وكذا سجدة في تلك السنة ؟

قالوا: بلى يا رسول الله!!

قال ﷺ: هذا الذي رفعه، فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض»[١]..

هذه الحادثة تدعونا لأن نستشعر عِظَم وجسامة وقَدر هذه النعمة الجزيلة، نعمة أن مَنَّ علينا سبحانه فأدركنا رمضانات سابقة وصُمناها، ونسأله سبحانه أن يُبَّلِغنا القادم بإذنه تعالى.

كما أن هذه الحادثة "القصة" تُبطِل ما يظنه الناس من أن الشهادة أرفع منزلة عند الله من كافة الأعمال الطيبة، فقد يفوق أجر طول العمر مع حُسن العمل أجر الشهادة .

هذه القصة مِثالٌ واضح على ضرورة أن يستثمر الإنسان نعمة طول العمر في العمل الصالح.

(١) حديث البيهقي في دلائل النبوة- مرسل حسن – عن طلحة بن عبيد الله.

قصة في فضل كثرة الصوم

رُوِيَ أن الرجل الصالح عبد الله بن مالك كان معروفاً بكثرة الصلاة والصيام والقيام، ولما دُفن - قَدَّسَ الله سِرَه - عَبِق من تُربتِه شيء أطيب من المسك، عجِب الناس من ذلك ، وصادف أن رآه أحد إخوانه في المنام، فسأله: يا عبد الله ما هذا الذي عبق من تربتك وهو أعبق من المسك؟

قال عبد الله: إنه التلاوة والظمأ، تلاوة القرآن والظمأ وهو الصوم...

سبحانه ينسب الصوم إلى نفسه:

لكُل ما سبق من مزايا الصوم ولغيرها فقد نَسَبَ سبحانه وتعالى الصوم إلى ذاته العلية حين قال على لسان رسوله ﷺ: «كل عمل ابن آدم تُضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلّا الصوم(١) فإنه لي وأنا أجزي به»(٢).

في هذا الحديث يقول رب العزة: «إلّا الصوم فإنه لي وأنا أجزي بـه»(٣).
هنا يبرز أمران لا بد من توضيحهما:
أولا:- أن نعلم لماذا نَسَبَ سبحانه الصوم إلى ذاته العلية ؟

فرض سبحانه علينا الصلاة والزكاة والحج، لكنه لم يقُل الصلاة لي ولا الزكاة ولا الحج، لم ينسب أياً من هذه الأركان لنفسه، لم ينسب إلّا الصوم.

فالصوم بذلك هو العبادة الوحيدة التي نَسَبها سبحانه إلى ذاته العلية، - والنسبة هنا نسبةُ تشريف-، فالله سبحانه لا يصوم، لكنه شرَّف عبادة الصوم بهذا النسب، ولعل في ذلك توضيحاً لقَدرِ الصوم ومكانته عنده، وأنَّ للصوم ميزة خاصة لا تتوافر في باقي العبادات، ميزة تفرض علينا أن نؤديه بطريقة خاصة تليق بهذا النَسَب.

لا أحد يعرف بالتأكيد لماذا نسب سبحانه عبادة الصوم إلى ذاته ، لكن علينا أن نجتهد فنقول: وذلك

١- لأن في الصوم تَشَبُّه بالملائكة وبالملأ الأعلى- فيما يجوز التَشَبُّه به- من

(١) قال ابن عبد البر: كفى بقوله سبحانه: (الصوم لي) فضلاً للصوم على سائر العبادات، وقوله: حسبك بهذا فضلا للصائم!!
(٢) حديث ٧٨٢١ – مسند أبي هريرة – مسند أحمد.
(٣) حديث ٥٩٩٠- اللباس – صحيح البخاري.

حيث عدم تعاطي شهوات البطن والجسد، فيتشبه الصائم بذلك بعالم ملكوتي نوراني، عالم الكمالات من هذه الناحية .

٢- لأن الصوم أبعد العبادات أن يُداخله الرياء، بل هو أقربها إلى سِر الإخلاص الذي يُحبه الله.

لطيفة نُقارن فيها بين العبادة الخالصة لوجه الله وبين عبادة الرياء

شرعت دودة القز "الحرير" في نسج شبكتها، فجعلت العنكبوت تتشبه بها وتقول لها: لَكِ نسج ولِيَ نسج، فما ميزتك عنّي؟

قالت دودة القز: هذا نسجٌ وهذا نَسج، نسجي رداء بنات الملوك، أمّا نسجك فمصائد الذباب والحشرات.

٣- لأن الصوم لا تقع فيه مقاصه[1]، ففي قول مشهور لشيخ أهل مكة سفيان بن عُيينه: إن المقاصه تقع يوم القيامة بالحسنات والسيئات، ويمكن أن يكون أجر كافة العبادات كفّارة للذنوب، إلّا أجر الصوم فلا تقع فيه مقاصة ولا يؤخذ من ثوابه شيء .

يؤيد ذلك قوله ﷺ: كل الأعمال كفارة[2] إلّا الصوم (رواه احمد في مسنده).

٤- لأن جميع العبادات محدّدة الأجر، لكن الصوم هو العبادة الوحيدة التي لا يعلم أجرها إلّا الله.

٥- لأن الصوم عبادة لم يُعبد بها غير الله سبحانه، عكس العبادات الأُخرى.

٦- لأن الصوم ليس بالعمل الظاهر، ولذا فقد لا يطَّلِع عليه الحفظة ليكتبوه، وإنما يعلمه الله وحده، هو الذي فرضه وهو الذي يجزي عليه.

٧- قد يكون لواحدٍ أو أكثر من هذه الأسباب أو لغيرها.

ثانيا:- ما معنى وأنا أجزي به ؟

لعله يعني أن جزاء سائر العبادات والأعمال يخضع إلى معيار مُعيَّن هو معيار التضعيف، إلّا الصوم فهو مُستثنى من ذلك، وهو العبادة الوحيدة التي لا تخضع إلى هذا المعيار ولا يَعرف ثوابه مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبي مرسل، ولا يُحدِد جزاءه إلّا الذي كَلَّفنا به لا إله إلا هو .

---

(١) ويكون ذلك يوم القيامة، فإن كان للناس عليه حقوق، وكانت له حسنات من صلاة أو صدقة أو حج أو جهاد، أُخذ من حسنات هذه الأعمال لأصحاب الحقوق، فيمكن بذلك أن يفقد العبد أجر هذه الأعمال إلا الصوم فيبقى أجره كما هو.

(٢)

وهذا المعيار هو معيار الجزاف

فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

وقيل الصوم نصف الصبر، لأن الصوم أشرف الصبر وأقصاه وأنقاه، والصبر نصف الإيمان، ولعله يعني سبحانه بقوله: بغير حساب أي جزافاً، أي لا يخضع لمعيار التضعيف.

وجزاء الجزاف هذا جزاء عَجيب، فإذا كان القليل من عطاء الله -وليس عند الله قليل - يكفي العالمين، فكيف يكون جـزافـه؟

أجزية الأعمال:

وقد صَنَّـفَ ﷺ أجزية الأعمال إلى سبعة أصناف حين قال ﷺ: الأعمال سبعة هي:

عَملان موجبان: فمن لَـقيَ اللهَ لا يُـشرك به شيئاً فقد وجبت له الجنة حتى ولو أتى أبوابا من الصغائر أو الكبائر، وأما مَن لقيَ الله يشرك به شيئاً فقد وجبت له النار.

١- عَمَلان بِمِـثْلَـيهما: فمن عمل سيئة جوزي بمثلها، ومن أراد أن يعمل حسنة وحال بينهما حائل فلم يعملها جوزي بمثلها.

٢- عمل بعشرة أمثاله: من عمل حسنة أُعطي عشرة أَمثالها.

٣- عمل بسبعمائة ضِعف: من أَنفق نفقة أَو تصدق بصدقة في سبيل الله أَي في مجُاهد أَو أَهل رِباط أُعطي سبعمائة ضعف.

٤- عملٌ لا يعلم ثوابه إلّا الله: وهو الصوم، فهو مختلف عن جميع الأعمال والعبادات ولعل في ذلك تفسيراً لقوله سبحانه في الحديث القدسي" فإنه لي وأنا أجزي به".

للصائم فرحتان

ومن فضل الله وكرمه على الصائم أن جعل له فرحتين

الفرحة الأولى: إذا أفطر زال عنه الجوع والعطش، وارتفعت عنه ممنوعات الطعام والشراب والمناكح، فمن جِبِلَّة الإنسان أن يفرح ويسعد بالتصريح له بالعودة لاستعمال وممارسة ما مُنع عنه، وإباحة ما حُـرِّم عليه، فيالها من فرحة وسعادة عندما يحين وقت الإفطار لاسيما إن كان قد استبد به الجوع أو أجهده

الظمأ.

مع هذه الفرحة يشعر الصائم جَلياً بالفرق بين النهار المقترن ببعض الممنوعات وبين الليل الذي تكثُر فيه المسموحات.

ورغم ما في الصوم من الحرمان، إلّا أن له لذة ومتعةً لِما يتبعه من الطاعة ورضا الله، لذة لا يشعر بها إلا المؤمن الصادق والصائم الح.

فقد قال ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»(١).

أما الفرحة الثانية:- فتكون عند لقاءِ ربه فيما يجده عنده من ثواب الصيام مُدَّخراً له، يجده في لحظة هو أحوج ما يكون فيها لأي ثواب أو أجر، فكيف إذا كان هذا الثواب من العِظَم ومن القدر بما لا يعلمه إلا الله ؟.

ففرحته عند لقاء ربه لا يعلم مقدارها ولا يعرف كُنهها ولا ما هِيَّتها إلّا الله، هو الذي كلَّفنا بالصيام وهو الذي سَيُجزينا عليه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزَّمل: ٢٠].

إفطار الصائم

من آداب الصيام ومُستحباته تعجيل الفطور إذا تحقق غروب الشمس. وقد سَنَّ ﷺ تقديمه على صلاة المغرب رأفةً بالصائمين.

وفي ذلك يقول ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عَجَّلوا الفطر»(٢).

وقال ﷺ كذلك: لا تزال أمتي على سُنَّتي ما لم تنتظر بفطرها النجوم.

وقال ﷺ أيضاً: يقول الله عزَّ وجلَّ: «إنَّ أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطراً»(٣).

أمّا في موعد تحقق الغروب فقد قال ﷺ: «إذا أقبل الليل من ها هنا، وأدبر الليل من ها هنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»(٤).

مما سبق لا يخفى على أحد تحنُن الله ورحمته على عباده الصائمين

(١) حديث ٧١٠٨- باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب- صحيح مسلم.
(٢) حديث ١٩٩٤- الصوم – صحيح البخاري.
(٣) ٣٦٣- أبواب الصيام – موطأ الإمام مالك.
(٤) حديث ١٩٩١ – الصوم – صحيح البخاري.

وإكرامه لهم. ومما يزيد في فضل الله أن جعل سبحانه للصائم دعوة لا تُرَد، وفي ذلك قال ﷺ: «إنَّ للصائم عند فطره دعوة لا تُرَد»[1]، فللصائم أن يدعو ربه عند فطره بما يُحب.

كما أن عليه أن يشكر الله جلَّ وعلا أن يَسَّرَ له فصام، وأنعم عليه فأفطر، حيث كان ﷺ يقول عند فطره: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[2].

أمّا إذا أفطر ﷺ مدعواً عند أحد من الناس فكان يدعو قائلاً: «أفطرَ عندكم الصائمون، وأكلَ طعامكم الأبرار، وتَنَزلت عليكم الملائكة»[3].

على ماذا يُفطر الصائم؟

يُندب للصائم أن يفطر على رطب فإن لم يجد فتمر، فإن لم يجد فماء، وأن يكون ما يفطر عليه وتراً أي ثلاثة فأكثر.

ومن لُطفه ﷺ أن بَيَّــنَ لنا على ماذا نفطر حين قال: «إذا كان أحدكم صائماً فليفطر على حبات من الرُطَب، فإن لم يجد فحبات من التمر، فإن لم يجد فجرعات من الماء، فإن الماء طهور»[4].

ثواب من فَطَّرَ صائماً:

«من فطر صائماً نال مثلَ ثوابه، دون أن ينقص من أجر الصائم شيء»[5]، كما أنَّ الله سبحانه قد يُضاعف له الأجر إلى سبعمائة ضعف.

وفي ذلك قال ﷺ: من فطر صائماً، أو جَهَّزَ غازياً في سبيل الله أو خلفه في أهله ، أو جهز حاجاً أوخلفه في أهله، كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

---

(١) ١٤١- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين.
(٢) حديث ٢٣٥٩ وحديث ٢٣٦٠- الصوم – سنن أبي داود.
(٣) حديث ٣٨٥٦- الأطعمة – سنن أبي داود.
(٤) حديث ٦٦٠- الزكاة- سنن الترمذي.
(٥) حديث ٨١٢ – الصوم- سنن الترمذي.

وقال ﷺ: «الصائم تُصلي عليه الملائكة إذا أُكِلَ عنده حتى يفرغوا، وربما قال: حتى يشبعوا»[(١)].

الصائم إذا أفطر ناسياً

من رحمة الله وتحنُنِه على الصائم أنه إن أكل أو شرب ناسياً وهو صائم، فلا يُفسد ذلك صومه، ولا شيء عليه لا قضاء ولا كفّارة، وإن أكلت أو شربت ناسياً وأنت صائم فإن الله سبحانه قد أطعمك وسقاك.

وصف الصائم بالسائح

قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فَسَّرَ كثير من العلماء بأنَّ الصابرين هم الصائمون، وكذلك قالوا: إن السائحين هو الصائمون، وقالت أُم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها-: سياحة هذه الأمة الصيام.

وَوَصفُ الصائم بالسائح لعلها إشارة إلى أن هذا الصائم- إن صام كما ينبغي- فإنه يُصبح مُعَدًّ ومُؤهلاً لِمُنادمة الملأ الأعلى وللسياحة في ملكوت الله.

السياحة على الأرض نعمة من نعم الله يُري فيها عباده واسع ملكه وبديع صُنعه، وللسياحة في الأرض الكثير من المُتع والفوائد، لكن السياحة في ملكوت الله لها طعم آخر ومذاق مختلف ومَعنىً آخر، لا يُقارن ولا يُشبَّه بالسياحة على الأرض، ومن شروط السياحة في ملكوت الله أنها لا تتأتي إلا بعد الصوم الصادق.

(١) مسند الصحابة في الكتب التسعة. ٤٥٧٤- الترمذي.

عمرة في رمضان تَعدِل حجة

قال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلّا الجنة»[1] (مسلم والبخاري).

هذا فضل العمرة عامة وعلى مدار السنة، لكن فضلها وأجرها في رمضان فيتضاعف. عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنَّه قال: لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع سأل امرأة من الأنصار اسمها أُم سِنان: «ما منعك أن تحجي معنا؟

قالت: أبو فلان (زوجها) له ناطحان، حج على أحدهما، والأخر نسقي عليه.

فقال لها ﷺ: فإذا جاء رمضان فاعتمري، فإن عُمرة فيه تعدل حجه معي»[2] (البخاري ومسلم).

وقال ﷺ: عمرة في رمضان كحجة معي. أي في ثوابها وجزائها وروحانيتها.

كيف وبأية روحية نستقبل رمضان

قالوا قديماً: كما تنظر للشيء أو للشخص تُعامله، وأقول: على قدر شوقك للشيء أو للشخص تنتظره، وعلى قدر حبك له تستقبله.

أود أن أجعل من ذلك مدخلاً لروحِيَةِ استقبالنا لهذا الشهر الفضيل ولهذه العبادة الفذة.

مدخلاً آخر أستعين به لتوضيح الروحية التي ننتظر بها هذا الشهر ونستقبله،

معلوم أن الإنسان لا يَفي إلا لما يُؤمن به، وما لا يُؤمن به أو يكون إيمانه به ضعيفاً فإنه لا يفي له، بل يسهُل عليه أن يخونه، ومقدار إيماننا بالشيء يتوقف على قدر إدراكنا وفهمنا له، وكذلك على قدر إحساسنا وشعورنا تجاهه وبأهميته.

فمن الناس من لا يرى في رمضان سوى أنه ضيف ثقيل تتبعه عبادة شاقة مُحرجة، مثل هؤلاء لم يفهموا روح ولا معنى الصوم، بل ولا قصد الله وحكمته منه.

---

(١) حديث ١٨٠٠- العمرة – صحيح البخاري.
(٢) حديث ١٨٩٤- جزاء الصيد – صحيح البخاري.

مثل هؤلاء لا يسرهم قدوم رمضان، بل ويزعجهم وجوده فيعُدّون الأيام لرحيله، ويتربصون الساعات ليُفارق ويُغادر، هؤلاء لن يعود عليهم رمضان بخير ولا بمردود طيب،

من هذا المنطلق، وبهذا المنطق تجد الكثير مِمن يُمسكون عن الطعام والشراب لكنهم يخونون صيامهم فما أكثر المُمْسِكين وما أقلَ الصائمين.

لكن وبالمقابل تجد مِنَ المسلمين مَنْ يرى في شهر رمضان ضيفاً يأتي مُستأذناً، وبموعدٍ محدد، ويغادر في موعدٍ معروفٍ يلتزم به ولا يتجاوزه، فيكن قدوم وصوم رمضان بذلك كتاباً موقوتاً، كما كانت الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً.

ضيف خفيف الظل ما أن يحل حتى يبدأ وعلى عجل يستأذن بالرحيل، فلا يمكث إلا قليلاً وينقضي، "أياماً معدودات".

شهر يرون فيه كل أسباب الرحمة والمغفرة، يجود بالخير والبركة وتتنزل فيه الملائكة، وتُعمر فيه المساجد وتُعمر جيوب الفقراء المحتاجين بما يجود به أهل الفضل والإحسان، ويُتلى فيه القرآن على غير العادة.

مثل هؤلاء كيف تتوقع أن ينتظروا هذا الضيف؟ وكيف سيُلاقونه ويستقبلونه؟ هل يكون استقبالهم بغير عيون مُترقبة وقلوب متلهفة، يحتضنونه كحبيب جاء على فاقة، ينتظرون هلاله بعيونٍ تنضح شوقاً واستعجالاً.

وقد رسم هذا المشهد الرائع في لوحة معبرة رائعة -هي غلاف هذا الكتاب-، الرسام العالمي إيتان دينيه الفرنسي الجنسية رحمه الله، هذا الفنان الذي اعتنق الإسلام بكل قناعة ورضى وسمّى نفسه ناصر الدين.

مثل هؤلاء بالتأكيد يستقبلون رمضان بفرحة غامرة، وبسعادة عارمة، وكثير منهم يسجدون لله سجدة شكر وعرفان أن بلَّغهم شهر رمضان.

مثل هؤلاء ينطلقون من بُشرى الرسول ﷺ في حديثه الشريف: شهر رمضان شهر افترض سبحانه وتعالى علينا صيامه، وسنَّ لنا قيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتُغل فيه الشياطين، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، مَن حُرم خيرها فقد حُرم. لقد كان هذا الحديث بمثابة البشرى لصحابة رسول الله، حتى أن العلّامة ابن رجب الحنبلي قال: إن هذا الحديث هو أصل تهنئة المسلمين بعضهم بعضاً بشهر رمضان، تهنئة يصعُب على غير المسلمين فهمها واستيعابها، وكيف لهم ذلك وهم يرونه شهراً نمتنع فيه عن ملذات الحياة المألوفة، بل وعن الحلال منها، وحتى عن الطعام والشراب، فنتعرض للجوع والعطش. يُمثِّل ذلك من وجهة نظرهم حرماناً ومشقةً وحرجاً، بل هو في أديانهم

نوع من العقاب، يستغربون فرحة المسلمين صغاراً وكباراً بحلول هذا الشهر، ويزيدهم استغراباً ما يرونه من إقبال الصغار حتى الأطفال على صومه بشغف ورضى، حتى أنهم يبكون إن مُنِعوا من ذلك.

هم لا يتصورون أننا لا نستقبل رمضان على أنه محض تكاليف بأنواع من الحرمانات، وإنما نعتبره فرصة حقيقية نُدَبر فيها أحوالنا ونسوس فيها أبداننا فيما لا نستطيعه في غير رمضان.

كثيرون أولئك الذين طغت عليهم عادات مرذولة بفعل الإلف والعادة، مثل هؤلاء لا يملكون زمام أنفسهم إزاء هذه العادات، ويعانون الكثير في سبيل الإقلاع عنها، وغالباً ما يفشلون رغم تكرار المحاولات ولا سبب لذلك إلا أنهم لا يصمدون الوقت الكافي اللازم لاقتلاع هذه الغادات.

مثل هؤلاء لو استغلوا رمضان في سياسة أبدانهم وأهوائهم ولمدة ثلاثين يوماً غالباً ما ينجحون. فقد ثبت في دراسات حيوية ونفسية أن الإنسان لكي يُقلع عن عادة قبيحة ويقتلعها من جذورها، أو ليزرع عادة طيبة ويتعود عليها ويألفها لا بد أن يُروض نفسه عليها لمدة ثلاثين يوماً كاملة متوالية، وهذا ما يُوفره رمضان المبارك. ولعل ذلك من أسباب أن فرض سبحانه وتعالى رمضان ثلاثين يوماً، لا عشرين ولا أربعين.

من ينظر إلى رمضان بهذا المنظار لا بد أنه سيعود عليه بمردود طيب مُجز في الحياة الدنيا وفي الآخرة، مردود يُغبط عليه. فياليت جميع المسلمينً يستقبلون رمضان بهذه الروح ليعودوا وليفوزوا ببركات رمضان وبخيره.

صوم رمضان يُعطِّل الكثير من القُصورات الذاتية

من نواميس الله في الكون أن أي جسم يبقى على حاله من حيث السكون أو الحركة مالم يؤثر عليه مؤثرٌ خارجي أو قوة خارجية تُغير من وضعه، يُطلَق على هذه الظاهرة في علم الفيزياء مُصطلح (القصور الذاتيInertia) وقد صاغه عالم الرياضيات إسحاق نيوتن كأحد قوانينه في الحركة (الديناميكا Dynamica)

مثال ذلك أنَكَ عندما تكون داخل السيارة وهي متوقفة فأنت في حالة سكون، وعندما تنطلق السيارة (بفعل المحرك) فإن جسمك يُريد أن يبقى ساكناً على حاله متوقفاً في مكانه (بفعل القصور الذاتي) فيصطدم ظهرك[1] بالكرسي، وتتناسب شدة الاصطدام مع سُرعة انطلاق السيارة .

والعمود الفقري من الكسر عندما يرتد الرأس بشدة عند الإنطلاق السريع. -

وكذلك تزود السيارة بالحقائب الهوائية لحماية الجسم والقفص الصدري عند الإصطدام بمقدمة السيارة عند الوقوف المفاجئ .

* بالإستعانة بخطبة جمعية للشيخ عدنان إبراهيم

وتتناسب شدة الاصطدام مع مقدار السرعة والمفاجأة في التوقف. مثال على قصور ذاتي فيزيائي:

وبما أن الخالق واحد والبصمة الإلهية واحدة في جميع خلقه، فإن القصور الذاتي لا يقتصر على حركة الأجسام وسكونها، بل يَطال السلوك الإنساني العديد من القصورات الذاتية منها القصور الذاتي العاداتي، الاجتماعي، الغريزي، وغيرها الكثير.

ومن أمثلة القصور الذاتي العاداتي أن من اعتاد التدخين (المدخن) إذا رأى علبة السجائر فسرعان "وبدون تفكير" ما يتناول سيجارة ويشعلها دون أن يتحقق إن كان الجو والبيئة حوله مسموح فيها التدخين أو غير مسموح (أي ممنوع)، بعد ذلك قد يُدرك أنه من غير المناسب التدخين في هذا المكان أو في هذا الوقت فيطفئ السيجارة.

ومن أمثلة القصور الذاتي الاجتماعي أن الذي اعتاد مُجالسه شلةِ سوء، يلهون ويسمرون بما حَلَّ وحَرُم، مثل هذا لو سمع موعظة أو خطبة وتأثر بها فربما يُعاهد الله على التوبة وعدم العودة لمثل هذه المجالس، لكنه بمجرد أن يَلقى الشلة "وبدون تفكير وبفعل القصور الذاتي الإجتماعي" تجده ينخرط بهم كما تنخرط الشاة بالقطيع، وربما بعد فترة من الزمن يتذكر عهده مع الله ُفيُدرك أنه لابد أن يغادرهم.

أما القصور الذاتي الغريزي فلعله أقواها وأخطرها، ومن أمثلته حُب الجنس، وربما النَهَم إلى الطعام، أو الرغبة الجامحة في تفريغ الشُحنات العدوانية والصدامية، وكذلك حُب النميمة والإفساد بين الناس، تجد الكثير ممن يندفعون نحو هذه الغرائز بمجرد أن تتهيأ "أو تسمح" لهم الظروف.

مع هذا النوع من القصور الذاتي (الغريزي) يتعطل العقل ويضعُف الإيمان.

قُصورات ذاتية كثيرة نعيشها ونألفها ولا نستطيع التخلص منها أو السيطرة عليها، تؤدي بنا إلى التهلكة وإلى غضب الله، للتخلُص من مثل هذه القصورات ومن آثارها المدمرة نحتاج إلى كوابح استثنائية، وقُدُرات نضالية وهِمم عالية من نوع خاص ومتميز، ولن يتأتي ذلك ولن يتحقق إذا كانت توقعاتنا من أنفسنا متواضعة، كما أنه لن يَكْتمِل ايمان العبد بالله مالم يكن أولا مؤمناً بذاته واثقاً من نفسه .

هنا يأتي الصوم ليرفع لك توقعاتك من ذاتك ويُصححها فيعيد لك ثقتك بنفسك، ولن يكون ذلك إلا إذا توافرت لديك الإرادة القوية الصادقة.

هنا يأتي الصوم ليقول لك: إن التخلص من الشهوات والقبائح والعادات المرذولة ممكن بل وأكيد، ويثبت ذلك أنه ما أن يُعلن المؤذن بدء الإمساك حتى تجد نفسك وبكل طواعية ورضى قد أمسكت وتوقفت عن كل ما اعتدت عليه من عادات، بل واحتياجات، ولمدة تزيد على ثلاث عشرة ساعة متواصلة خلال سحابة النهار، يعَلِّمك الصوم أن لا تكون متواضعاً في توقعاتك من نفسك، فما تراه مستحيلاً توقعياً، تجده ممكناً عملياً مع الإرادة .

معلوم أن الله سبحانه قد وضع في الانسان استعدادات تـقائيـة وأخرى فُجوريـة، وهذه الاستعدادات بالإضافة إلى كونها متجاورة فهي أيضاً مُتفاعلة متشاكسة، ولكي يُـفَـعِّـل العبد الاستعدادات التُقائية ويتحاشى الفجورية فإنه يحتاج إلى جهودٍ عالية يحُارب بها جميع أنواع القصورات الذاتية الضارة، هنا يأتي الصوم ويقوم بهذه المهمة خير قيام، فيكسِر أسرَ العادات المرذولة، ويُـعتق الإنسان ويُـحرره من عبودية هذه العادات، مُعَطلا بذلك الكثير من هذه القصورات الذاتية.

مثال على تعطيل القصورات:

قال ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب، وإن سابَّه أحد أو شاتمه أحد فليقل: إني صائم»(١).

عندما تَتَدبر هذا الحديث هل تتوقع أن الرسول ﷺ يحثنا على عدم الرفث والفسوق والمسابة في رمضان وأثناء الصيام فقط؟.

أنا لا أعتقد ذلك!!

قد تسألني: إذاً لماذا خص ﷺ رمضان بهذه الموعظة؟

أقول: ربما لأن الصوم هو القوة الأكيدة والكابِح الأقوى الذي يستطيع تحطيم أسر هذه السلوكيات المشينة، فيعمل كدرع يُعَطِّل هذه الانفعالات السيئة، وينقذنا من مجاراة القصورات الذاتية القبيحة، ويرقى بنفوسنا ويمنحها الفرصة لتنضج سلوكياً ونفسياً، ولعل هذا السلوك الطيب يُصبح عادة مألوفة دائمة لدى المسلم حتى بعد رمضان.

---

(١) حديث ١٩٣٨- الصوم – صحيح البخاري.

الصوم زكاة للبدن

قال ﷺ: «لكل شيء زكاة ومن كل شيء زكاة، وزكاة البدن الصوم»[1].

فما هي الزكاة ؟

للزكاة تعاريف منها، أنها المبالغ والأنصباء التي نُخرجها من أموالنا تطهيراً لها من الأوضار والخبائث، ولذلك فقد سُمِّيت الزكوات أوضار الناس وأوضار الأموال.

ولعل الرسول ﷺ بَنى على هذا المفهوم حُرمة أن يأخذها أهل بيت النبوة، لأن الله سبحانه قد شرَّفهم أن يأخذوا أوساخ الناس وأوضار الأموال.

وفي ذلك قال ﷺ: «أوساخ الناس لا تليق بنا أهل البيت»[2].

فالزكاة إذاً تطهير للأموال من الخبائث.

كيف يكون الصوم زكاة للبدن ؟؟

الصوم يُطهِّر البدن من سموم لا حصر لها تدخل إليه، أو تتولد بداخله أثناء العمليات الحيوية المختلفة، أَخُصُّ بالذكر جسم الإنسان المعاصر الذي تدخله السموم من عدة مصادر وبِعدةِ سوائل وطرق منها المنكهات، الملونات مكسبات الرائحة والطعم، التلوث البِيئي والإشعاعات وغيرها .

ومن الوظائف الرئيسية للكبد تنقية الجسم وتخليصه من هذه السموم.

لكن ما لم يتوقف الجسم عن تناول الطعام (يصوم) ويحد من الأكل فإنه سيبقى في حالة انشغال مستمر من الهضم والأيض، فمن أين للجسم وللكبد (والحالة هذه) الفرصة لفرز هذه السموم وتصفيتها والتخلص منها ؟

لكن عندما يصوم المسلم لأكثر من ١٣ ساعة يومياً، ويتوقف خلالها عن تناول الطعام والشراب، بالتأكيد ستتوفر للكبد وللبدن الفرصة الكافية للتخلص من هذه السموم، وكذا لتنظيم عمليات الجسم الحيوية، بما فيها الكشف عن المناطق المعطوبة، والتعرف عليها، بل وإصلاحها وترميمها.

---

(١) ٨٩٠٨- مصنف ابن أبي شيبة.

(٢) حديث ٢٥٣١- كتاب الزكاة- باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة- صحيح مسلم.

يقول رب العزة عن الصوم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ **[البقرة: ١٨٤] .**

فسَّر العلماء كلمة يطيقونه بمعنى يستطيعونه مع الصعوبة والمشقة، فكيف لشيخ هَرِمٍ طاعنٍ في السن أن يتفهم أن مِن الأفضل له أن يصوم رغم وجود الرخصة الإلهية له بالإفطار؟

﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ **[البقرة: ١٨٤].**

***بالإستعانة بخطبة جُمعية للشيخ عدنان إبراهيم**

اكتشف الأطباء وعلماء الأحياء منذ أكثر من ثمانين عاماً أن تقليل السعرات الحرارية التي يتناولها الإنسان يعود على الجسم بفوائد صحية كثيرة، وأن لهذا التقليل تأثير ملحوظ ومباشر على وقايته من الأمراض بل وعلى إطالة عمر الإنسان وحيويته أحياناً.

الصوم يَلجم الجُذيرات الحُرة، ويعمل كأفضل مضادات الأكسدة

بالإضافة إلى أن الصوم يكبح الكثير من السلوكيات السيئة، فهو أيضاً وسيلة ناجحة لمقاومة مخاطر الأكسدة، فهو بذلك مِن أفضل مضادات الأكسدة.

ما هي الأكسدة وما هي مخاطرها؟ نتناول الطعام، نهضمه ثم يمتصه الجسم، ثم يتم توزيعه على خلايا الجسم كافة ليصل إلى كل خلية ما تحتاجه من الغذاء، وللإستفادة من هذا الغذاء ولإطلاق الطاقة الكامنة فيه لا بد من أكسدته.

تتم هذه الأكسدة داخل الخلايا في وجود الأكسجين بعملية تُسمى الأكسدة الداخلية (التنفس الداخلي).

مع عملية الأكسدة ومع إطلاق الطاقة تنطلق مُركَّبات أو جزيئات صغيرة جداً (تحتوي في مدارها الخارجي على إلكترون مفرد)، تُسمى الشوارد أو الجذيرات الحرة (free Radicals**)، تتطاير هذه الجُسيمات داخل الخلية بسرعات فائقة، فتضرب كافة مكونات الخلية من غشاء خلوي أو نواة أو حمض نووي** D.N.A **وحيثما تضرب فهي تُتلف وتدمر.**

فإذا ضربت غشاء الخلية أو نواتها تسببت في تدمير الخلية وموتها، وموت ملايين الخلايا بهذه العملية يسرِّع في زحف الشيخوخة، وبالتالي تدمير الجسم وتسريع الموت على المدى البعيد، وإذا ما ضربت الحمض النووي D.N.A **فإنها تتسبب في حدوث طَفَرات ضارة معظمها مسرطِن، تؤدي للإصابة بأنواع**

مختلفة من السرطانات.

كما أن لهذه الجُذيرات الحرة الكثير من الأضرار البالغة على الجهاز الدوري (الدموي) وعلى الجهاز العصبي وعلى البنكرياس (مُساهمةً بذلك في الإصابة بمرض السكري) وغيرها من الأضرار والأمراض.

وللتخفيف من مخاطر هذه الجذيرات ومن أضرار الأكسدة فقد أُجريت العديد من الأبحاث على مستوى العالم لإيجاد مضادات للأكسدة ولمحاربة هذه الجذيرات.

وحتى لا أُطيل عليك أقول: لقد ثبت علمياً وطبياً أن كثرة تناول الطعام واستمرار أخذه على فترات متقاربة يؤدي إلى تولد كميات كبيرة من السعرات الحرارية في الجسم، وهذه الكثرة تُشكِّل سبباً مباشراً في زيادة كمية وأعداد الشوارد - الجذيرات الحرة -، زيادة تُـفـقِد الآليات الطبيعية للجسم سيطرتها على هذه الجُذيرات "بسبب كثرة أعدادها" (١).

وبالمقابل فقد ثبت بالدليل القاطع أن التقليل من تناول الغذاء يؤدي تلقائياً إلى قلة السعرات الحرارية في الجسم مما يعطي الآليات الطبيعية للجسم (الأنزيمات) فرصة كافية للقيام بوظائفها كمضادات للأكسدة وللجُذيرات الحرة الناتجة عنها.

تقودنا هذه المعلومات إلى استنتاج أن الصوم يُشكِّل أحد أفضل مضادات الأكسدة ، فمع الصوم يُدرك الجسم بأنه يتعرض لحالة من المجاعة، وبوحي من الله يقتصد الجسم في إنتاج الطاقة ويعمل على توفيرها والمحافظة عليها للظروف الأقسى المحتملة والتي ستنتج عن عملية الجوع والصوم.

فمع الصوم وتقليل السعرات الداخلة إلى الجسم تتدنى عملية الأكسدة إلى أدنى مستوياتها، وكنتيجة طبيعية يتبع ذلك تقليل إطلاق الجذيرات الحرة إلى أدنى مستوى (إن لم ينعدم)، مما يؤدي إلى تنظيف الخلية من الجذيرات الحرة الزائدة، وبالتالي تحسين أدائها وإطالة عُمُرها، وقد ثبت بالدليل القاطع- من خلال تجارب على أعلى المستويات العلمية والطبية- أن الصيام يساعد الجسم على ترميم نفسه وتحسين أدائه، بالإضافة إلى ضبط ضغطه وخفض مستوى الكولسترول الضار فيه .

---

(١) الآليات الطبيعية ما هي إلاّ أنواعٌ من الأنزيمات يُفرزها الجسم، تتفاعل مع الجُذيرات الحُرة فتمنع إنتاجها أو تُقلِّل من خطرها وأضرارها.

ولعل في هذه الأبحاث توضيحاً علمياً كافياً لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

ولقوله ﷺ: «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء»(١).

رسول كريم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وتدعم الآية الكريمة والحديث الشريف ذلك القول المأثور الذي يقول: صوموا تصحوا.

كل ما سبق يساهم في توفير تفسير علمي لما يتَمتَّع به رجال الدين من طولٍ في العمر وصحةٍ وحيويةٍ واضحةٍ لفترات من العمر مديدة، لاسيما الكثيري الصيام والقيام منهم .

يُستثنى من هذه القاعدة رجل الدين الأكول النَكوح.

أثر قيام ليل رمضان على الصحة

وكما أن للصيام العديد من الآثار الإيجابية على الصحة، فإن للصلاة في جوف الليل أيضاً آثارٌ إيجابية. فقد ثبت أن النوم لأكثر من خمس ساعات متواصلة يسبب أضراراً على الصحة توازي الأضرار الناتجة عن الإكثار والمبالغة في تناول الطعام.

فكثرة النوم مُضرة ضرراً مباشراً على الجهاز الدوري وخاصة الشرايين، وللحد ذلك فلا بد من الحركة - مع تقليل فترة النوم- وقيام الليل خير حركة لهذا الأمر.

وفي ذلك قال ﷺ: قيام الليل مَطردة للداء عن البدن.

وقد أُجريت العديد من الأبحاث "بعضها في الجامعة الأردنية" لدراسة تأثير قيام الليل والقيام لصلاة الفجر على الصحة، ثبتَ من خلالها أن النوم لساعات طويلة غير صحي للجسم، وأن الحركة المعتدلة (من حين إلى آخر) ضرورية للجسم(٢)، لا سيما الحركة أثناء صلاة القيام وصلاة الفجر بما يرافقهما من تحريك لمعظم عضلات الجسم ومفاصله (إن لم يكن جميعها) كما أن هذه الحركة

---

(١) رقمه ٦٩- أحاديث لا تصح- سليما بن صالح الخراشي. ورقم ٢٣٢٠- في كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني.

(٢) قال سبحانه في سورة الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

ضرورية لمنع تصلب الشرايين أو انسدادها، ذلك لأن الدم أثناء النوم المتواصل تبطئ سرعة جريانه في الشرايين إلى الحد الأدنى، ووضعٌ كهذا يساعد على ترسيب الدهون ومواد أخرى على جدران الأوعية الدموية، مما يؤدي إلى تضييقها ونقصِ مرونتها ثم تصلبها، وبالتالي تقل كفاءتها وقدرتها على أداء مَهامها، لكن صلاة القيام، والإستيقاظ المبكر والحركة المعتدلة تزيد من سرعة جريان الدم، فتقلل أو تمنع ترسب الدهون وغيرها على جدران الشرايين.

رَغَّب الرسول ﷺ في قيام ليل رمضان وحَثَّ عليه ، فقد رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه) وكما ترى فإن الصحة والحيوية، بل وطول العمر هي مِن الفضائل المتاحة والمُيسرة لأهل الصيام والقيام.

رمضان شهر الجود والإحسان

رمضان شهر الصدقات والمبرات والأيدي الباسطات السخيات الكريمات، شهر الزكوات، شهر العطاء والجود. لا يخفى على عاقل أن الصالحين يزيد كرمهم وعطاؤهم في رمضان فيبذلون وينفقون في شهر تتضاعف فيه الحسنات إلى سبعين ضعفاً وأكثر، في شهر ينتظر فيه المحتاجون عطاء الكُرماء الأتقياء، فعلينا في هذا الشهر أن نجود ونبسط الأيادي، ولا نقبضها، ونسخى في العطاء ولا نبخل، ولا ندقق أو نُكثر من الحساب قبل العطاء، لأن كثرة الحساب تنزع البركة من المال وتُقلل أجر المتصدق المعطي، ولنعلم أن حسنة الصائم للفقير هي طريقه إلى الجنة . ومن رحمة الله أن الدنيا لا تضيق إلّا على الحاسبين، ولا تتسع إلّا على السُخاة المعطين، لذلك قالوا: العطاء هو طريق الغِنى والبسطة الربانية.

ومن فضل الصدقة والعطاء أنهما يزيدان في العمر لقوله ﷺ: «إن صدقة المسلم تزيد في العمر، وتمنع ميتة السوء، ويُذهِب الله بهما الكِبر والفخر»(١).

كما أن الصدقة تُيَسِّر الأُمور، فما من عسيرٍ يواجه صاحب الصدقة إلّا تَيَسَّر بفضل الله عز وجل.

فعلى المرء- خاصة في رمضان - أن لا يتأخر في العطاء ولا يمتنع عنه حتى ولو كان فقيراً محتاجاً، أو كانت ظروفه المادية سيئة، أعطِ ولو بأقل

---

(١) الترغيب والترهيب- المنذري. رواه الطبراني منطريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عمرو بن عوف وقد حسنها الترمذي وصححها ابن هزيمة لغير هذا المتن.

القليل، لأن مع العطاء يأتي الفرج، فالصدقة مجَلبة للرزق، وتقي مصارع السوء، كما وتطفئ غضب الرب كما تُطفئ الماء النار، ولأن الله سبحانه سوف يخلف عليك أضعاف ما تُعطي .

أعـطِ لكي تُعَـوِّدَ على العطاء نفسك، وعلى السخاء قلبك قبل يدك وقبل جَيبك، ولتُدربـهما على الجود والسخاء، ولتشعر بلذة العطاء، فكثير من الناس لا يعرف أن للعَطاء لذة وسعادة لا ترقى إليها سعادة الأخذ والكسب.

تشبَّـه بالرسول ﷺ في العطاء فقد كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان ﷺ لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه، وكان يجعل من رمضان مدرسةً للجود والعطاء.

البعض لا يُـعطي إلا بعد كثير استفسار، وربما بعد تقرير حالٍ مُفصَّل قد يصل إلى إراقة ماء وجه من سيُعطي، بل وربما نال من كرامته وتسبَّبَ في إهانتة، مثل هذا لا يعلم أنه بهذا السلوك قد أضاع أجره، بل ربما اكتسب إثمـاً، مثل هذا لا يعلم أو يتناسى أو يتجاهل أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد الفقير المحتاج .

مثل هذا لا يَـعرف أن أُم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- كانت تغسل المال بل وتُـعطِره أحياناً قبل أن تتصدق به، لعِلمها بأنه سيقَع في يد الله قبل أن يقع في يد المحتاج. بل إنها كانت عندما تُـعطي تجعل يدها أسفل يد المحتاج، لتكون يدها في هذه اللحظة هي السُفلى، هكذا وبمثل هذه الروح ليكن العطاء وإلا فلا داعي لـه..

تَـذكَّر قول الأديب جبران خليل جبران عندما قال: عندما تُـعطي فأنت كريم، لكن لا تنسَ وأنت تُـعطي أن تُـدير وجهك عمَّن تعطي لأن حاجته تكون عارية أمامك .

كان السلف الصالح يقولون: إن لم يَـرَ المعطي نفسه أحوج إلى العطاء من الفقير المحتاج فلا يكون مُعطياً، لذلك فليشعر الغني المعطي بأنه هو الرابح عند العطاء وأنه هو الذي سينال رضوان الله وجنـتــه، بينما المحتاج لن ينال سوى دُريهمات قد يشتري بها طعاماً يأكله من لحظتة، بينما عطاء الغني مذخورا له عند ربه إلى يوم القيامة.

مِـن الإحسان والمعروف أن ترى المِـنـة لأخيك عليك إن هو أخذ منك شيئاً لأنه لولا أخذه منك لما حَصَلَ لك الثواب، ولأنه قد خَصَّك دون غيرك بالسؤال راجياً الخير منك.

هل تعلم وهل تُدرك معنى وقيمة وأهمية أن تكون أنت المعطي ولست أنت

المحتاج؟ ولو كنتُ حاسداً أحداً لحسدت المعطي ولما حسدت الذي يأخذ، فعليك أن تشكر الله صباح مساء بل وفي كل حين أن كنت أنت الـمُـعطي.

الإسلام دين لا يصلُح إلّا بأمثال هؤلاء المـُعطين السُخاة، فقد قال ﷺ: إنَّ هذا الدين ارتضاه الله لنفسه، ولن يَـصلُح له إلّا السخاء وكرامة النفس، فبالسخاء والجود والكرم، لا بالبخل وكثرة الحساب يَـصلُح هذا الدين.

ومن يُكرمه الله ويتدرب على العطاء في هذه الشهر يُصبح السخاء وبسط اليد والجود من شِمائله التي يصعُب عليه مفارقتها ومن عاداته التي يصعب عليه التخلي عنها.

وفي الحَثِّ على العطاء قال ﷺ: «في كل يوم ينزل من السماء مَلَـكان يدعوان الله، أحدهما يقول: اللهم أعطِ منفقا خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفاً»(١).

صحيح أن الإحســـان هو أظهر ما في الصيام، وأن الصوم أكثر عبادة تُحقق الإحسان، إلّا أنَّ العطاء والجود ليس مُـتقتصرَاً على رمضان فقط، صحيح أن أجره في رمضان كبير ومُـضاعف، لكن علينا أن نعلم أن المحتاجين المعوزين موجودون على مدار العام، وحاجتنا لرحمة الله ورضوانه مُستمرة على مدار العام أيضاً، فمِن الجدير بِنا أن لا نتوقف عن العطاء بل ولا يَـقل بعد رمضان.

ومن سُبُل الإحسان في رمضان تفطير الصائمين، قال ﷺ: «من فطَّـر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء»(٢).

وقال ﷺ: من فطر صائماً أو جَهَزَ غازياً فله مثل أجره.

وقيل: من أطعم الجائع حتى يشبع أظله الله تحت ظل عرشه.

ومن عظيم فضل الصدقة قوله ﷺ: «كل امرئٍ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يُقضى بين الناس»(٣).

(١) حديث ١٤٦٤- الزكاة – صحيح البخاري.
(٢) حديث ٨١٢- الصوم – سنن الترمذي.
(٣) أحمد ٤/١٠٧- ١٤٨، وهو حديث صحيح.

آداب الإحسان

كما أن على المُحسن أن لا يَـمُـنَّ بصدقته وإحسانه، فإن على الآخذ أن يُظهِر الشكر والتقدير للمُعطي، لِما في ذلك من تشجيع له على الاستمرار في العطاء، وقيل: صوت من شكر معروفك أجمل من تغريد الأطيار.

وقيل: وبالشكر تدوم النِـعم.

وقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٦].

وكان الرسول ﷺ خير الشاكرين، ففي يوم من الأيام أرسل له عثمان بن عفان مبلغاً من المال، فجعل النبي ﷺ يُقبِلها بـين يديه ويدعو له ويقول: غَـفَـر الله لك يا عثمان.

الله أكبر، عثمان من أغنياء المسلمين، والرسول ﷺ من أعظم االـمُحسنين ومع ذلك يشكر عثمان ويعترف بفضله.

رمضان شهر القرآن

لشهر رمضان اختصاص بالقرآن عظيم، كيف لا .. وفيه أُنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا؟ وفيه ابتدأ نزوله على رسولنا الكريم ﷺ، وفيه كان جبريل عليه السلام يُدارسه لرسولنا ﷺ كل سنة، من هذه المدرسة أخذ أهل العلم مشروعية ختم القرآن في رمضان، كيف لا وقد قال سبحانه: هو رمضان الذي أنزل في القرءآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥].

لقد حَـثَّ الرسول ﷺ المسلمين على أن يعكِفوا في أيام شهر رمضان وفي لياليه المباركة على كتاب الله يتلونه ويتدارسونه ويتدبرونه.

حيث قال ﷺ: داوموا على قراءة القرآن، ولا تـهجروه ولا تجعلوه كالشريعة المنسية وراء ظهوركم، ومما جاء في فضل قراءته أن الرسول ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١].

وقال ﷺ أيضا: «إن هذا القرآن مأدُبـــةُ الله، فأقبلوا على مأدُبتـه ما استطعتم»[٢]، فالقرآن مأدبة الله وكلامه، فمن تلاه فهو يُناجي ربه، ومن بَـلَّغه فكأنما شافه به الرسول ﷺ.

قال ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر لَأَن تغدوا فتتعلم آية من كتاب الله خيرٌ لك من أن تُصلي مئــة ركعة»[٣] .

وقال ﷺ الجوف الذي ليس في شيء من القرآن كالبيت الخَرِب»[٤]، وسيبقى هذا الجوف مأوىً للبوم والغـِربان تتناوح فيه الرياح.

وقال ﷺ: «لا يُعذبُ الله قلباً وعى القرآن»[٥]. اللهم اجعلنا أوعية للقرآن، نتلوه ونتدبره ونحفظه ونعمل به ونتحاكم إليه.

وقال ﷺ: «إن لله عز وجل أَهلـين من الناس، قيل من هم يا رسول الله؟ قال: أهلُ القرءآن هم أهلُ الله وخاصته»[٦].

وقال ﷺ: «إقرأوا القرآن فإنه يأتي شفيعا لأصحابه يوم القيامة»[٧] .

وقال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة»[٨]، فالقرآن شافع مُشَفَّع، فمن جعله أمامة قادة إلى الجنة، ومَن جعلة خلفه (وراء ظهره) ساقه إلى النار.

---

(١) حديث ٥٠٧٩- فضائل القرآن- صحيح البخاري.
(٢) حديث ٣٣٧٨- ومن كتاب فضائل القرآن- سنن الترمذي.
(٣) حديث ٢٢٤- المقدمة – سنن ابن ماجه.
(٤) حديث ٣١٦١- فضائل القرآن – سنن الترمذي. قال هذا حديث حسن صحيح.
(٥) حديث ٣٣٨٢- من كتاب فضائل القرآن – سنن الدارمي.
(٦) حديث٢٢٠- المقدمة – سنن ابن ماجه.
(٧) حديث ١٩١٠- باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة- صحيح مسلم.
(٨) حديث ٦٧٨٥- مسند عبد الله بن عمرو- مسند أحمد.

فالقرآن شفيع لأصحابه إن هم أخذوه بصدق، وتَـلوه بصدق، واتَّـبَـعوا ما فيه، واتَّــقَـوا الله فيه.

اللهم نسألك بكل التوسلِ والإخلاصِ أن تجعل القرآن لنا شفيعاً لا خصيماً يوم القيامة، وأن تجعله حُـجةً لنا لا حُجةً علينا.

رمضان ضيفك فكيف تستقبله وكيف تستقبله؟

قال ﷺ: من آمن بالله واليوم الآخر فلـيُـكرم ضيفه.

أفضلُ ضيافةٍ تُــقدمها لرمضان "شهر القرآن" خلال زيارته لك هي الإكثار من تلاوة القرآن فيه، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا دخل رمضان يتركون قراءة الحديث ويختصرون من مجالس أهل العلم، ويُـقبِـلون على تلاوة المصحف، يتدبَّرون آياته ويتفهمون معانيها...

فقد قال جناب بن الإرث: تَـقـرَّب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقـرَّب إليه بشيء أحب إليه من كلامه القرآن. فالكَـيِّـسُ الفطِن مَن جعل النصيب الأوفى من العبادات في شهر رمضان من نصيب القرآن لأن رمضان هو شهر القرآن.

وقال الزهري: إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام. من كل ما سبق أفهم أن لقراءة القرآن مردود عظيم.

ماذا يعود عليك عندما تفتح دفتي المصحف وتقرأ القُرآن؟

قراءة القرآن وتدبره تجارة رابحة لا تبور على مَـر الأزمانِ والدهور، ومن أسفٍ أنّ الكثير من المسلمين يعتقدون أنّ الثواب يكون دائماً أُخرويا ًفقط، ولا يعلمون أنــه دنيويٌ أيضا، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٤].

فمن أفضال تلاوة القرآن الدنيوية أنك ما أن تفتح دفتي المصحف وتأخذ في قرآءته حتى تتنزل عليك السكينة، والطُمأنينة، وراحة البال وراحة الفكر، والبهجة، واتساعٍ في المنظور الذي تنظر من خلاله إلى نفسك، وكذا إلى عَلاقتك بالآخرين، فمع قراءة القرآن يتَّسع منظورك إلى فلسفة الوجود وإلى الحياة والموت وإلى الفلسفة الإنسانية وقِـيَمِها، وأخلاقها وأعرافها.

من خلال القرآن تتمتع بالقصص القرآني العذب العجيب في دقته وفي نظمه، مما يعود عليك بالمتعة والدروس والـعِبَر والمواعظ.

واقرأ إن شئت قوله ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب

الله ويتدارسونه بينهم إلا نَزَلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكَرهم الله فيمن عنده»[١].

الجائزة الأولى: فلو خَلَق سبحانه خلقاً أطهرَ وأشرفَ وأزكى من الملائكة لأرسلهم ليحُفوا بهؤلاء القرآنيين، ذلك لأن القُرآن مأدبة الله، فأول مردود لقارئ القرآن أن تَتَنَزَّل عليه سكينة القلب والنفس، وكم نحن بحاجة إلى السكينة لا سيما في هذه الأيام!

أما الجائزة الثانية: فتغشاهم الرحمة، ويَذكُرهم الله فيمن عنده، فأيُّ شرف فوق هذا الشرف ! وأيُّ مقام أرفع وأعلى من هذا المقام!

وقال ﷺ: «من قَرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشرِ أمثالها»[٢]، وتتضاعف في رمضان أكثر من ذلك.

كما أن قراءة القرآن ترتقي بالنفس البشرية وبالشخصية الإنسانية من كافة جوانبها سواءً منها العقائدية، العبادية الأخلاقية، الروحية، النفسية، الاجتماعية، والفكرية حتى العلمية والبدنية، فهو يرتقي بهذه النفس بصورة شاملة متوازنة حتى أنها تصل بالفرد إلى العبودية المطلقة لله في كل شؤونه.

أضف إلى ذلك أن القرآن يُزكّي النفس ويزيدها جمالاً وتهذيباً في معاملاتها مع ربها ومع نفسها ومع من هُم حولها، مؤهِلةً بذلك المسلم لتطبيق منهج الله على الوجه الأكمل.

وقال ﷺ: آخر منازل العبد في الجنة عند آخر آية تلاها.

وفي ذلك يقول ﷺ: يقول سبحانه وتعالى للعبد يوم القيامة «رتِّل وارتَقِ كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر أية تلوتها»[٣] .

لكل ذلك كان السلف الصالح يُنيرون قلوبهم وأرواحهم، ويعُمرون بيوتهم ومساجدهم ومنتدياتهم بالقرآن الكريم، وكانوا ينظرون إليه على أنه رسائل (إليهم) من ربهم يتدبرونها ويعملون بها.

ومن فضل الله وكرمه أن كثيراً من المسلمين يختمون القرآن مرة أو أكثر خلال رمضان، بينما مُعظمهم لا يختمونه ولا مرة واحدة على مدار السنة، وقد

---

(١) حديث ٧٠٢٨- باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر – صحيح مسلم.
(٢) حديث ٣١٥٨- فضائل القرآن – سنن الترمذي.
(٣)حديث ٣١٦٢- فضائل القرآن- سنن الترمذي. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

كان الصحابة يختمونه آلاف المرات خلال حياتهم رغم قِصرها، ذلك لأن الله سبحانه كان يفتح عليهم بركة الزمان بسبب صدق نواياهم.

تصور لو أنك تبذل الجهد المناسب ، وتختم القرآن خمس مرات في كل رمضان ولمدة عشرين عاًما مثلاً - أطال الله في عمرك - فإنك ستقابل الله يوم القيامة بمائة ختمة رمضانية، ولك أن تتصور أجرها .

آداب تلاوة القرآن وسننها

لقراءة القرآن "كما لغيرها من العبادات" آداب وسُنن يُستحب ويُفضَّل بل ويجب مراعاتها، لك بعضاً منها:-

١- من سنن التلاوة أن يكون القارئ على وضوء، وأن يستقبل القبلة ما أمكن.

٢- أن يستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم قبل البدء بالقراءة .

٣- أن تكون نيته خالصة لله تعالى، وأن تكون القراءة بقلب حاضر يتدبر ويَـعي ما يقرأ، فالقراءة بدون تدبُر لا تكفي، فقد قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

٤- ومن فضل الله ومَنِّه أنَّ فَهم القرآن وتدبُر آياته ومعانيه لا تحتاج إلى طاقات وإمكانات فوق قدرة البشر، بل هو سهلٌ ومُـيَّسر للجميع.

وقال الإمام علي كَرَّم الله وجهه: لا خير في قراءة لا تدبُـر معها.

ومن أسفٍ كثرة القُراء والحفاظ وقلة المتدبرين.

٥- مراعاة حق الآيات من سجود وسكتات ووقفات، وغيرها من أحكام التلاوة.

٦- التفاعل مع الآيات، وتنفيذ أوامرها، والاستعانة بالله على التقَيُّد بما جاء فيها.

، فقد قال ﷺ: «ما آمن بالقرءآن من استحل محارمه»[(١)].

٧- وقال ﷺ: «إقرأ القرءآن مانـهاك فإن لم ينهك فلست تقرءه»[(٢)].

٨- الجهر بالقراءة - إن أمكن دون التشويش على الغير - حتى تُسمع نفسك، ويزداد تفاعلك وتركيزك.

٩- يُستحب "بل يجب ما أمكن" تحسين القراءة وتجميلها، ولا بأس من البكاء أثناءها، فقد قال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزَّمل: ٤].

---

(١) حديث ٣١٦٨- فضائل القرآن- سنن الترمذي. قال أبو عيسى هذا حديث ليس إسناد بالقوى.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- رواه الطبراني في الكبير وفيه شهر بن حوشب و هو شعيف وقد وثق.

نصيحة

قراءة القرآن مطلوبة ومسنونة في رمضان وفي غير رمضان، ومطلوب من المسلم المداومة على تلاوة القرآن والاتصال به وعدم قطع العلاقة معه حتى ولو بقراءة جزء واحد يومياً، فالتواصل مع كتاب الله مطلوب، فنحن بحاجة الله، وتحت رحمته في كل لحظة، وليس في رمضان فقط.

اجعل لك علاقات خاصة حميمة وحنونة مع بعض السور والآيات التي يتفاعل معها قلبك أكثر من غيرها.

العشر الأواخر من رمضان

محظوظ من شهد رمضان فصامه وقامه، وأسعد منه من بلغ العشر الأواخر فعاشها وصامها وقامها، فهي أيام شريفة مباركة، أيامها أفضل الأيام، ولياليها أفضل الليالي، خيراتها كثيرة، وأجورها عظيمة.

فيها ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر، شرفاً وفضلاً ؟.

آخر هذه الليالي ليلة الجائزة الكُبرى، والنجاة العظمى، ليلة العتق من النار، فمن فاته فضل ليلة القدر فلا ينبغي أن يفوته أجر ليلة العتق من النار.

لكل ما سبق ولغيره فقد كان الرسول ﷺ يجتهد فيها بالعمل أكثر من غيرها، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيﷺ إذا دخل العشر شَدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله. كان يوقظ أهله حرصاً على اغتنام فضل هذه الليالي المباركة.

والإجتهاد في هذه الليالي يشمل جميع أنواع العبادات.

فلا ينبغي لمؤمن عاقل أن يُفَوت هذه الفرصة، فلعله بحرصه عليها يُدرك نفحة من نفحات المولى عَزَّ وجلَّ فيَفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

ليلة القدر

القَدر هو الشرف والتعظيم، وقد سُمِّيت هذه الليلة بهذا الاسم تعظيماً لشرفها، وتنويهاً لجليل قدرها عند الله جَلَّ وعلا، ولأنها الأفضل بين سائر الليالي، فهي ليلة القضاء والحُكم، فيها يُقَدِر سبحانه ما سيكون في السنة القابلة من مطر ورزق وخير وشر وأحياء وأموات وغيرها من المقادير.

ليلة مباركة كثيرة الفضل والخيرات، من أهم بَرَكاتها نزول القرآن فيها، وتنزل الأملاك والروح الأمين فيها يُصلّون ويُشاركون العباد الذين يُحيون هذه اللية قيامهم وتعبدهم.

وزيادة في تكريم هذه الليلة والترغيب على تحريها والحث على إحيائها وقيامها أن جعل سبحانه وتعالى قيامها لِمَن وافقها سبباً في غُفران ذنوبه ولو لم يقُم غيرها من الليالي.

وفي ذلك قال ﷺ: «مَن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وقال الرازي: مَن أحياها فكأنما عبد الله نيِّفاً وثمانين سنة، ومن أحياها كل عام فكأنما رُزِق أعماراً كثيرة.

لكن الأمر أعظم من ذلك وأخطر، فالخيرية هنا مُطلقة وليست لعدد محدد لقوله عزَّ وجل: خير من ألف شهر، ولم يقل كألف شهر. لعل أجرها يُشبه أجر وجزاء الصوم في عدم محدوديته.

فالعبرة ليست بطول الأعمار، إنما بما تحويه من أعمال الأبرار.

من علامات هذه الليلة أنَّ تُشرق الشمس صبيحتها بيضاء لا شُعاع لها، وتكون ليلة معتدلة الحرارة لا حارة ولا باردة، وهناك علامات أخرى كثيرة يتداولها الناس لا أصل لها ولا صحة.

ومن لطيف ما قيل فيها: ليلة تُفتَّح فيها الأبواب، ويُقَرَّب فيها من تاب، ولا يُرَدُ فيها طارق باب، بل يُسمع منه الخطاب، ويأتيه على الفور الجواب، فيُكتب له فيها ما لا يُدركه العقل من ثواب.

متى نتحرى ليلة القدر؟

لحكمة من الله ورحمة بعباده الصائمين أن أخفى هذه الليلة، وجعلها خلال العشر الأواخر من رمضان، وأغلب الظن أنها في وتر هذه الليالي لا في أشفاعها.

ولعل من أسباب هذا الإخفاء حث المؤمن على الاجتهاد في الطاعة، فيُضاعف العبادة والعطاء في الثلُث الأخير من رمضان، في ثلُث العتق من النار، سائلاً الله مُوافقتها واالفوز بخيرها.

وقد أوشك ﷺ أن يُخبر بموعِدها لولا أن تلاحى(تشاتم) إثنان من المسلمين في حضرته، فقال ﷺ: «خرجت لأُخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرُفعت، وعسى أن يكون ذلك خير لكم، فالتمسوها في وتر العشر الأواخر من رمضان»(١).

لكن الصحابي أُبي بن كعب قال: والله إني لأعلم أي ليلة هي، الليلة التي أمرنا الرسول ﷺ بقيامها، هي ليلة سبع وعشرين.

سياحة في رحاب سورة القدر

تكريماً وتقديراً لليلة القدر فقد أنزل سبحانه وتعالى سورة باسمها تُتلى إلى يوم القيامة. وكانت من أوائل السور المكية، فكانت السورة الخامسة والعشرين نُزولاً، والثانية والتسعين خَطا في القرآن الكريم.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [١]

بدأ سبحانه هذه السورة الكريمة بذاته العلّيّة، فأسند إلى هذه الذات نزول القرآن وأنه أنزله في هذه الليلة المباركة تكريماً لها ورِفعة لقدرها، وإظهاراً لأهمية الأمر وأنه جلل عظيم.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾؟ [٢]

ما هنا للاستفهام وهذا يدل على التفخيم والتعظيم، وإمعاناً في تبيان أهمية وشرف هذه الليلة يتساءل سبحانه قائلاً: وما أدراك ما ليلة القدر؟

أي أن درايتك لم تبلغ شرف هذه الليلة، ولا عظيم شأنها أو علو قدرها.

(١) حديث ٢٠٦٢- فضل ليلة القدر- صحيح البخاري. تلاحى: تنازع وتخاصم.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [٣]

إن كُنت لا تعلم قدرها ومكانتها، فاعلم أن في إحيائها وقيامها والإقبال على الله فيها، أمر بالغ الأجر والقداسة، فالعبادة فيها تعدل عبادة ألف شهر وتزيد. تعدل عبادة ثلاثاً وثمانين سنة ونَيّفاً، فكم من الاجتهاد والاهتمام والعطاء مطلوب منك أن تقدمه وتبذله في هذه الليلة لتنال هذاالشرف وهذا الأجر وهذا الفضل؟

فليلة القدر مناسبة مقدسة للتسابق على الخير، فكم من الخشوع والخضوع على المؤمن أن يُظهِره لعل الله يقبلها منه؟

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [٤]

تقديراً وإكراماً لهذه الليلة يأمر سبحانه وتعالى الملائكة والروح القُدُس "جبريل الأمين عليه السلام، وقد خَصه بالذكر لشرفه)" أن يتنزلوا في هذه الليلة بشكل متتابعٍ مُتلاحقٍ على هيئة أفواج إلى الأرض، والملائكة في هذه الليلة لا يتنزلون إلا بخير، يتنزلون يُصلون ويذكرون الله ويعبدونه ويُشاركون عباده القائمين المُحيين لهذه الليلة قيامهم وطاعتهم ودعاءهم وأذكارهم، يرعون ويُتابعون كل أمور المسلمين، فيُسجِّلون كل الطاعات والاجتهادات التي تُبذل في تلك الليلة.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [٥]

وإمعاناً في تكريم هذه الليلة فقد خَصَّها سبحانه بالعديد من الصفات والميزات حتى أنه جعلها ليلة سلام واطمئنان حتى طلوع الفجر، فجعلها ليلة أمنٍ شامل لا غضب فيها ولا انتقام ولا تلاحي. وما من أحد إلّا ويعلم أنّ نعمة الأمانَ لا تعدلها نعمة.

وتنتهي هذه الليلة بطلوع الفجر، لأّنه مع الفجر تنتهي أعمال الليل.

وفي سورة الدُخان قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ **[الدخان: ٣ - ٤]، أي يُفصَل فيها من اللوح المحفوظ كل أمرٍ مُحكمٍ لا محو له من تدبير الله لأحداث السنة القادمة حتى ليلة القدر التالية.**

اجعل ليلة القدر نقطة تحول في حياتك

تتمخض ليلة القدر عن ولادة جديدة لكل مَن يقومها ويحييها، فلنجعلها نقطة تحول في حياتنا، لا مُجرد لحظة عابرة، أو ليلة ذات طقوس معينة من اجتماع في المساجد وكثرة دعاء وصلاة وختمة تراويح وغيرها من مناسك هذه الليلة، ثم لا يلبثون أن ينفضوا، فلا تراهم بعد ذلك في المساجد، مُعتمدين أن الله قد أغدق عليهم بالجود والعطاء فلا داعي لمزيدٍ من العبادة.

لماذا أخرها سبحانه إلى الثلُث الأخير من الشهر؟

رُب سائل يسأل : لماذا شاءت حكمة الله أن يجعل ليلة القدر في أواخر شهر رمضان؟

ليس لدينا جواب دقيق مُحقق، لكن ربما لأنَ ليلة بها هذا الإقبال الإلهي، وبهذه النفحات الخاصة، لابد أن يتهيأ لها العبد المؤمن بوضع خاص مُميز يتلاءم ويليق بقدرها وأهميتها، فلا يصح أن يقابلها بذنوب وشهواتَ ومبارزة لله بخطايا قريبة عهد، لذلك مَهَّد لها سبحانه بصوم ثلُثي الشهر لكي نتهيأ لها بقلوب نقية طاهرة، بعيدة عن المعاصي والخطايا.

وربما يؤيد ذلك ما كان من سيدنا موسى عليه السلام عندما أراد أن يُكلِّم ربه ويناجيه، فقد أمره جَلَ وعلا بالصوم ثلاثين ليلة قبل أن يلقاه ويكلمه، لكن عندما بَدر منه ذنب صغير أمره سبحانه أن يُتمها بعشر، فتم ميقات ربه أربعين ليلة، بعد هذا الصوم أصبح موسى عليه السلام مُهيأً لمناجاة ربه وسماع كلامه وخطابه الإلهي.

فعلينا أن نتهيأ لهذا العطاء وهذا الكرم الإلهي بصوم عدد من الأيام لا يقل عن ثلُثي شهررمضان لعلنا ننال بعدها شرف القبول وكرم المغفرة.

هل هناك ما هو أغلى من ليلة القدر؟

حديث صحيح عجيب يَصِمنا أفراداً وشعوباً وحكاماً بالتقصير والخُذلان، فقد قال ﷺ: موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحَجَر الأسود[١].

من الفقه ونحن نتعبد في ليلة القدر أن نتعلم مقياس تفاضل العبادات، وتمايز القُرُبات، فمع قراءة هذا الحديث نعرف مدى تقصيرنا وإهمالنا بالجهاد

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٦٦٣٦.

في سبيل الله، ونعلم أيضاً مدى وقيمة الأجر الذي ناله واكتسبه أولئك الشهداء الذين سقطوا في مقاومة أعداء الإنسانية اليهود والذين سقطوا على متن سفينة الحرية مقدمين أرواحهم دفاعاً عن إنسانية الإنسان، ولا ننسى أولئك الشهداء الذين سقطوا مطالبين بحريتهم وكرامتهم من حُكام طُغاة ظلمة.

وياليت تقصيرنا وتخاذلنا مُقتصراً على الجهاد لفتح بلاد جديدة، أو نشر الإسلام فيها، إنما تقصيرنا للأسف في استرجاع بلادنا المغتصبة واستعادةً أوطاننا المسلوبة، وحقوقنا المنهوبة.

قصة أبي أيوب الأنصاري تُبين في أي مُنزلق ووهدةٍ نحن:

لعل هذا الصحابي العظيم قد سَمِع حديث الرسول ﷺ، فحرص على الخروج مُجاهداً، حتى بعد أن جاوز التسعين عاماً من العمر لينال شرف الجهاد عند أبواب القسطنطينية، مرض رضي الله عنه هناك فسأله يزيد بن معاوية "قائد الجيش" بماذا توصي وماذا تُريد؟

قال أبو أيوب: أن أدفن عند أبواب القسطنطينية لأني سمعت الرسول ﷺ يقول: يُدفن عند أسوار القسطنطينية رجل صالح، وإني لأرجو الله أن أكون أنا هو... دفنوه هناك، شاهد ذلك قيصر الروم... فسأل يزيد: أين دهاؤك؟ وتدفن صاحب محمد تحت أسوارنا وبعد أن تُولوا أخرجناه للكلاب؟

أجاب يزيد: لئن بلغني أنه نُبش قبره أو مُثِل به لا تركت بأرض الإسلام نصرانياً إلّا قتلته، ولا كنيسة إلّا هدمتها....

فقال عندها القيصر: لله أنت، أبوك كان أعلم بك، فوحق المسيح لأحرسنَّه بيدي إن لم أجد من يحرسه....

علامات قبول الصوم

لا أحد يعلم بالتأكيد إن كان صومه قد قُبِل أم لا، فهذا أمر منوط بمدى إخلاصه بعبادته، وبتقدير الله سبحانه، لكن الله جلَّ وعلا أكرمنا بعلامات وإرشادات تُعيننا على توقع القبول من عدمه ومنها:

١- انظر إلى صومك، فإن كان خالصاً لوجه الله تعالى فتوقع قبوله لقوله ﷺ: من صام إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه.

٢- انظر إلى نفسك بعد ترحل رمضان، فإذا لمست تغيرات حقيقية في نفسك أو

شعرت بأنك أصبحت شخصاً أفضل وأيقنت أنك تخلصت من عادات كثيرة سيئة، واستبدلتها بأخرى حميدة اكتسبتها وتعودت عليها فأصبحت جزءاً من حياتك فتفاءل بالخير وبقبول صومك.

٣- إذا حَدَّثت نفسك بأنك عقب رحيل رمضان لن تعصي الله أبداً، ولن تعود إلى ما كنت عليه من المعاصي والسلوكيات المؤدية إلى الذنوب وإلى غضب الله، ووجدت أن توبتك نصوحة، فتأمل بقبول صومك بإذن الله.

٤- إذا شعرت بلذة مداومة العبادة، والاستمرار عليها والمتعة في أدائها فهذه مُؤشرات على قبولها بمشيئة الله.

زكاة صدقة الفطر

من السُنة ومن الإحسان أن تُخرج زكاة صدقة الفطر في وقتها ولتعلم أن صومك مُــعلَّق بها، وأن قبوله مرهون بهذه الصدقة رغم قِلَّتِـها وصِغَر مقدارها.

لهذه الصدقة رمزيــةٌ خاصةٌ يُـدركها من صام وتحقق من سِرِّ صَومه، ويُدرك أن أداءَها يضعه في مصافِّ العباد البررة المتقـــين.

فقد قال ابن عباس: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرةً للصائم من اللغو والرفَث، وطُعمة للمساكين، فمَن أداها قَبــْلَ صلاة العيد فهي زكاة مقبولة، ومن أدّاها بعد صلاة العيد فهي صدقة من الصدقات.

حُكمها:- يَرى جمهور العلماء أن زكاة الفطر فرض لا يجوز التفريط فيه، وأنها مفروضة على الحُـر والعبد، الذكر والأُنثى، الكبير والصغير مهما كان عمره، كما أنها مفروضة على المرضى وعلى أصحاب الأعذار.

حِكمتها (الحكمة منها): لا يعرف أحدٌ على وجه التحديد الحكمة منها إلّا الله سبحانه وتعالى، لكن يَعتقد البعض أنها واحدة من الشرائع والشعائر التي تكون في سبيل الخير، وجاء في الأَثَر أنها فُرضت طُهرةً للصائم وطُعمةً للفقير. وقيل: هي إحسان للفقراء وكَفٌ لهم عن السؤال، وليشاركوا الأغنياء فرحتهم وسرورهم بالعيد.

وقال النووي وبعض العلماء: إنها للصائم كسجدتي السهو للساهي في صلاته، فتجبر هذه الصَدَقة النقص والخطأ، وأعتقد أنها أكثر أهمية وأكبر أثراً من سجود السهو.

شروطها:

الإسلام، وسِعَــةُ ذات اليد، أي يكون المكلَّـف قادراً على إخراجها، ذهب بعض العلماء على أنها لا تجب إلا على من وجدها زائدة عما يحتاجه من نفقةٍ يوم العيد، وقال البعض: لا بأس أن يستدين لأدائها مَنْ اعتاد على الاستدانه، أو يُمكنه سداد دَيـــنه لو استدان لها .

تؤدى "زكاة الفطر" عن الشخص نفسه، وعن كل من تلزمه مؤنتهم من أولاد وأبوين وإخوةٍ صِغار، وكذا عن الجد والجدة وامرأة الأب وعن الزوجة

(واحدة كانت أو أكثر، حتى ولو كانت موسِرة) وعن العبيد والخدم.

وقت اخراجها:

أفضل وقت لإخراجها ما بين صلاة الفجر إلى ما قبل صلاة العيد، لكن تسهيلاً على الصائمين أجاز العلماء إخراجها قبل العيد، بأيام قليلة، "وعند بعض العلماء خلال شهر رمضان بأكمله"، لكن الأفضل عدم إخراجها قبل العيد بوقت طويل.

هل يجوز اخراج القيمة من زكاة الفطر ؟؟

يجوز بل ربما يُفَضَّل - هذه الأيام - إخراج قمتها نقداً. ولا يجوز إخراجها من طعام البهائم لأنها طُعمةٌ للمساكين، كما لا يجوز اخراجها ثياباً أو أوانيَ أو أمتعة.

كَتَبَ الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز في أواخر أيام رمضان كتاباً سَيَّره إلى المسلمين في الأمصار ليُقرأ على الناس، قال فيه: أيها المسلمون أكثروا من الاستغفار، ولا تنسَوا صدقة الفطر، فصدقة الفطر مرهون بها الصوم فلا يصعد ولا يُقبل إلّا بعد تأديتها.

عيد الفِطر

ومن نواميس الله في الأرض أن لكل بداية نهاية، فالعُمُر ما أن يبدأ حتى يجد السير نحو النهاية، ولشهر رمضان ختام ووداع ونهاية. نهاية سعيدة مُفرحة مِن وجوه، لكنها مُحزنة مؤلمة مِن وجوهٍ أخرى.

فمَن أدى الفريضة وصام وقام على الوجه الصحيح الأكمل ولم يملَّ ولم يكسل حَقّ له أن يُعَيِّد ويفرح.

مَن تشبَّهَ بالملأ الأعلى فلم يتعاط شَهوتي البطن والفرج وأمسك عنهما له أن يبتهج ويفرح.

من ظَنَّ أنَّ الله سبحانه قد قَبِلَ طاعته وقبل صيامه وقيامه لِمَ لا يُعَيِّد ويفرح؟

فالعيد لنفسٍ انتصرت على نفسها، وأصبحت في مصافِّ الأبرار، لمن استعاد ثقته بنفسه فاقتحم العقبة، واسترد ما استلبته منه أيدي الشهوات.

العيد لمن وصل حباله بحبل الله، فأحس بالقرب الخاص من الله، قُرب ليالي رمضان وأيامه، العيد لمن جعل من نفسه حليفاً لبيوت الله يرتادها باستمرار خاشعاً خاضعاً، العيد لمن سَوّى علاقته بكتاب الله فتلاه ودرسه وتأمله كما ليس في غير رمضان. العيد لمن أطلق لسانه لإهجاً بذكر الله في الخلوات والجلوات. لمن نزع من قلبه الغِلَ والحسد فَفَعَّلَ الأُخوة والمحبة والتراحم في قلبه وفي سلوكه، العيد لمن استغل الموسم بحقه، واشتغل بالطاعات وزرع الفضائل والحسنات، فله أن يبتهج ويسعد، وينعم بحصاد المحصول وباكتمال العدة وثبوت الأجر بإذن الله(١).

العيد لمن تَوَّج صوم هذا الشهر بِنَيل الجائزة الكُبرى والمنقبة العُليا، فمُحِيَت زلّاته، وغُفرت ذنوبه، وسُطِرَ في سجل المقبولين اسمه، وفاز بالعتق من النار والفوز بالجنة فليس هناك مَن هو أكثرُ منه حظاً.

وهل من سعادة أكبر من أن يُباهي سبحانه وتعالى بهم الملائكة فيقول: ياملائكتي هؤلاء عبيدي وإمائي، قضوا فريضتهم، ثم خرجوا يعجون إليَّ الدعاء، فعزتي وجلالي لأجيبنهم، فيسمعون بُعَيدَ صلاة العيد هاتفاً من الله يقول: عبادي ليَّ صُمتم، وليَّ قُمتم فارجعوا مغفوراً لكم؟

فمن لا يتمنى أن يكون من هؤلاء؟ الكُل يتمنى، لكن عليه أن يُشَمِّر عن ساعد الجد والاجتهاد وليُقدِّم خالص العمل وخيره؟

جَلِيٌ واضح أنّ أعيادَ المسلمين تأتي دائماً بعد عبادة صادقة، مبنية ومؤسسة على معانٍ وقِيَم روحية وإنسانية سامية. فعيد الأضحى يَهِل بعد أداء مناسك الحج، وعيد الفطر يَحِل بعد اكتمال عبادة صوم رمضان.

آداب العيد وسُنَنه

تكريماً لأعياد المسلمين وتقديراً لها وابتهاجاً بها فقد جُعِلت لها آدابٌ وسُنن يُستحب للمسلم الإتيان بها إكمالاً لفرحته وإتماماً لعبادته وأجره ومنها:

١- يحرُم صوم يوم العيد لأنه يوم فرحة وبهجة يشترك فيها الجميع.

٢- شُرع للعيد التكبير عند اكتمال العدة، والتكبير هنا سُنة عظيمة لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾

(١) ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٥].

[البقرة: ١٨٥]. ويبدأ التكبير مع غُروب شمس ليلة العيد ويستمر حتى يعلو الإمام المنبر، وللتكبير يوم العيد صيغة مُعينة. والتكبير شعار للنصر على الشيطان وعلى أنفسنا وعلى الهوى والغرائز، فقد قال سبحانه في الحديث القُدُسي: الذي يُخالف هواه عندي كبعض ملائكتي.

٣- من السُنة الأكل قبل الخروج لصلاة العيد ويُستحب تناول تمرات ويكون عددها وتراً.

٤- يُسَن للرجال الاغتسال والتطيب ولبس أجمل الثياب والتجمل للعيد، أمّا المرأة فهي منهية عن إظهار زينتها للرجال الأجانب، فتخرج يوم العيد غير مُتجملة ولا مُتطيبة ولا مُتبرجة ولا سافرة، لكن لها أن تبدو بكامل زينتها لزوجها.

٥- أمرَ ﷺ الجميع بالخروج لصلاة العيد، ومنهم النساء[1] (١) فتخرج العواتق والحُيَّض وذوات الخدور، ليشهدن الخير من صلاة وخطبة ودعاء. وعلى الحُيَّض أن يعتزلن المُصلى.

٦- يُسن الذهاب إلى المُصلى مشياً لا راكباً إلّا لضرورة، بل ويُستحب له أن يذهب من طريق ويعود من أخرى.

٧- الاستماع للخطبة سُنة مؤكدة، فإذا قُضيت الصلاة فمن أحب أن يجلس ويستمع فله ذلك، ومن أحب أن يذهب فليذهب.

٨- التهنئة من الآداب الطيبة للعيد، فلنُهنئ أنفسنا وجميع من حولنا ولنسأل الله لهم قبول الطاعات.

٩- اجعل العيد فرحة لك ولجميع من حولك وصِل يوم العيد رحمك وجيرانك وأقاربك.

١٠- اعلم أن انقضاء رمضان لا يعني انقضاء أعمال المؤمن، فالعبادة مستمرة مادام في الإنسان نَفَس لقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحِجر: ٩٩].

وكما هو بَيِّن فالعيد ليس لمن لبس الجديد، ولا لمن انتظر تَصرُم رمضان ورحيله، مُعتبراً في هذا الرحيل خلاصاً من متاعب ومشاق الصوم، وراحة وتحرُراً من عنائه وقيوده، وكذلك العيد ليس لمن يفرح بطريقة ماجنة تتنافى وتتجافى مع قداسة الأعياد الإسلامية، وما يتبع هذه الأعياد من التزام وحشمة وإجلال للمناسبة والظرف.

لكن مع كل هذا الفرح جدير بالمسلم الحق أن يحزن ويتألم لفراق أيام كريمة وليالي مباركة كانت تتنزل فيها الملائكة والرحمات والفيوضات، ولِوداع لحظات مقدسة شريفة غُصَّت بالطاعات والابتهالات، ولانقضاء ساعات كل لحظة

(١) مع أن البيوت خير لهن في جميع العبادات فيما عدا صلاة العيد)

منها تعدل العمر وقد تزيد.

واللهِ إن فراقك يا رمضان لمؤلم مُحزن ، لكن يُعزينا أن أملنا بالله كبير أن نلقاك من قابل إن شاء الله.

خاطرة من وحي العيد

يعلم الله سبحانه وتعالى ما سيُصيب الصوّامين القوّامين بعد انقضاء رمضان من ألم وحُزن، وما سينتابهم من لوعةٍ ووحشة، على فراق هذا الشهر العظيم وتلك الأيام والليالي المباركة.

فبكرمٍ منه سبحانه أراد أن يُخفف عنهم ألم الفراق وحزن البعاد بشيء يُوجه انتباهم ويملئ فراغهم بل ويسعدهم ويُفرِّح قلوبهم، ففرض لهم عيد الفطر خاتمة لهذا الشهر وتكريماً لإتمام هذا النسك الجليل، وزانه بأعمال مُفرحة، وواجبات ولقاءآت مُشرفة تدخل البهجة على القلوب وتُوَثِّق أواصر المحبة في النفوس، مثل تبادل التهاني والزيارات والمعايدات مع الأهل والأرحام والأصدقاء والجيران.....

سلوكيات ومَواجب بقدر ما تُخفف من ألم فراق رمضان بقدر ما تعود على المسلم بالأجر والثواب.

اعتاد المسلمون تسمية عيد الفطر بالعيد الصغير، وعيد الأضحى بالعيد الكبير، لا أدري سبباً لهذه التسمية ولا أعترض عليها، لكنني أميل إلى تسمية عيد الفطر بالعيد الكبير لأنه بهذا العيد قد أدى الجميع فريضة الصوم، والكل فرحان، والجميع بإذن الله قد نال القبول.

لكن في عيد الأضحى فقليلون أُلئك الذين أدوا الفريضة، أما المسلمون الآخرون فهم يُشاركونهم المناسبة والفرحة.

خاتمة

أربعة مشاعر تلقائية وأحاسيس فطرية تنتاب كل مؤمن صادق وتُلازمه مع هذا الشهر العظيم وهي: ترقبٌ ولهفةٌ في انتظاره، بهجةٌ وفرحةٌ عند بلوغه واستقباله، حُزنٌ ووحشةٌ على انقضائه وفراقه، ثم عزم وإصرار وتصميم على استمرار هجر المعاصي وعلى مواصلة الطاعات بعد رحيله.

وعلى قدر السعادة والفرح ببلوغ هذا الشهر ولقائه يكون الحزن والأسى عند انقضائه ووداعه، وكيف لا يحزن من له قلب ينبض بالخير وهو يودع ضيفاً عزيزاً غالياً لم يـرَ منه إلّا الخير، ضيفاً خفيف الظل ما أن حَلَّ حتى أسرع بالانقضاء والرحيل، حسرة بالغة تصل إلى حد الشعور بالوحشة وذرف الدمع ساخناً سخياً على فراق رمضان.

ما أحرانا والحال كذلك أن نودعه بقلوبٍ منكسرة ونفوس خاشعة، وضمائر وَفِـيـّةٍ قانعة، وبألسنة لاهجة بالابتهال والدعاء إلى الله أن يعيده علينا ونحن بحال أحسن وأفضل مما نحن فيه.

ما أجدرنا أن نبقى على العهد متصلين به متواصلين معه عامرين لبيوت الله حريصين على صلاة الجماعة، تالين لكتابه العزيز كما كنا في رمضان وأكثر، أوفياء لما عاهدنا الله عليه من التزام بالطاعات، حريصين على صيام التطوع والنوافل، فمن فضل الله علينا أن سَنَّ لنا أياماً يُستحب الصوم فيها مثل الست من شوال، ويوم عاشوراء ويوم عرفة، والأيام البيض في أواسط الشهر العربي، ويومي الاثنين والخميس. وألّا نتوقف عن الجود والتوسع في الإحسان والصدقات، فالاستمرار بها مدعاة لقبول صومنا ومؤشر على رضى الله علينا.

ما أحرانا ونحن نعيش الأسبوع الأخير من رمضان أن نشكر الله أن بلغنا هذه الأيام المباركة، وأن نُكثـّف العبادة ونُضاعف الاجتهاد، ففي هذا الأسبوع أفضل أيام رمضان ولياليه، فيه الجمعة الأخيرة "أليتيمة" ببركاتها، وليلة القدر بجلالها وعظيم قدرها وكثير خيرها، فيه ليلة على كل مسلم أن يحرص على اغتنامها ليلة العتق من النار، وهي آخر ليالي هذا الشهر الفضيل (وآخره عتق من النار)، والعتق من النار هو أفضل ما نجنيه من صوم رمضان.

في هذه الأيام يكون العفو وقبول الأعمال، وفي ختام هذا الأسبوع تكتمل العدة (وليكملوا العدة) المنوط بها تكفير الذنوب ومغفرة الخطايا وستر العيوب، وكذا يُختتم هذا الأسبوع بالتكبير للعيد، تكبيراً يُؤشر على النصر والفوز بمرضاة الله.

ومن المهم والضروري أن نختتم رمضان بالاستغفار، فشهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والاستغفار هُما خير خاتمة للأعمال الصالحات

وللعبادات على مختلف صورها من صلاة وصيام وزكاة وغيرها من العبادات.

كذلك بالاستغفار تُختتم المجالس، فقد سَنَّ لنا ﷺ أن نستغفر في آخر كل مجلس.

وقال الحسن البصري: أكثروا من الإستغفار فإنكم لا تدرون متى تتنزل الرحمة.

وأوصى لقمان الحكيم ابنه قال: يا بُني عَوِّد لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لا يرد فيها من سأله. وكتب أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز للأمصار يقول: اختموا رمضان بالاستغفار وبصدقة الفطر. فمع الاستغفار يُمحى الكثير من الذنوب ويُغفر الكثير من الأخطاء والتقصيرات، ويثبت الأجر بإذن الله.

الكلام في أفضال رمضان وصومه لا ينفض ولا ينتهي، لكنني أختصر عليك فأقول: نسألك اللهم أن تتقبل أحسن أعمالنا وتتجاوز عن سيئاتنا وخطايانا وإسرافنا في أمرنا وجهلنا ونسياننا، وأن تُجزل لنا العطاء وتكتبنا فيه من المرحومين، وأن تُعيده علينا وعلى الأمة الإسلامية والعربية والجميع بخير حال وأهدأ بال.

المراجع

القرءآن الكريم	
خُطب الجُمعة وخطب العيد	الشيخ عدنان إبراهيم
مجالس شهر رمضان	الشيخ محمد بن صالح العثيمين
من فقه الأولين رمضانيات	د. عبدالله فرج الله
قيام رمضان	محمد ناصر الدين الألباني
معادلات إيمانية وهدايا رمضانية	صباح عبد الكريم أبو الفيلات
حدث في رمضان	د. عبد الرحمن رأفت الباشا
الصيام ورمضان في السنة والقرءآن	عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني
المنتخب من أحاديث سيد المرسلين	عفاف عبداللطيف ياسين العاني
الجامع لأحكام الصيام	أبي إياس محمود بن عبداللطيف بن محمود (عويضة)

الفهرس

